

موقف الإمام عبد الحميد ابن باديس الإصلاحى من الطرق الصوفية الضالة فى الجزائر.

زريق مولود زريق أبوطلاق.

تحت إشراف:

د/ حسين عبده حسين

مدرس بقسم الفلسفة

كلية البنات - جامعة عين شمس

أ.د/ كوكب محمد مصطفى.

أستاذ متفرغ بقسم الفلسفة

كلية البنات - جامعة عين شمس

مقدمة:

يهدف هذا البحث إلى توضيح موقف الإمام ابن باديس من الطرق الصوفية الضالة والمبتدعة في كل أنحاء العالم الإسلامي والتي ارتبطت بالخرافات والبدع والأفكار الفلسفية المخالفة لظاهر الشرع. إن كل الحركات الإصلاحية بداية من شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) مروراً بالشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ) والإمام محمد عبده (ت ١٩٠٥م) وصولاً إلى حركة الإمام عبد الحميد ابن باديس^(١) في الجزائر، حاولوا أن يوضحوا أن الأمة الإسلامية لم تعرف ظاهرة الجمود الفكري والانقسام العقائدي إلا بعد ظهور المدعين للتصوف وأمثالهم من سائر المبتدعة الآخرين.

أن الطرق الصوفية الضالة وخاصة في الجزائر أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هي التي تمثل السلطة الدينية في البلاد، قد آلت إلى حالة مزرية من الاحتطاط العقائدي والتخلف العلمي بعد أن ركزت الحركة الفكرية، وساد الجمود والخمود في الأوساط العلمية، وأصبحت هذه الطرق تقدم صوراً مشوهة وممسوخة للدين، مما أدى إلى انتشار البدع والخرافات بشكل واسع والي انحراف المفاهيم العقائدية، وسادت العقلية الخرافية، وشاع الركود والتكاسل وغيرها من الظواهر السلبية. وليس ذلك فحسب بل أنها سارت في ركاب الإدارة الاستعمارية "الفرنسية" ووقفت معها ضد أهل البلاد الشرعيين.

وترجع أهمية هذا البحث إلى أنه يبرز الدور الفعال الذي قام به الإمام ابن باديس في التصدي لأصحاب البدع والخرافات، فقد بذل كثيراً من الجهود النظرية والعملية لمواجهة الانحرافات الطرقية بكل أشكالها وأنواعها، وهو يعد بذلك نموذجاً حياً للعديد من العلماء المصلحين الذين قاوموا الظاهرة البدعية مقاومة شديدة، ورفضوا وجودها في المجتمع الإسلامي.

كما ترجع أهمية هذا البحث إلى توضيح جهود ابن باديس التي تركزت حول مجموعة من الخصائص أهمها: الدعوة إلى الرجوع إلى السلف الصالح ونقاوة الإسلام الأولى المتمثلة في القرآن والسنة. ومحاربة التقاليد ومظاهر الشعوذة التي عفقت بالدين الإسلامي. واهتمت بالدعوة إلى النظر العقلي في التعامل مع الدين وتفسيره. والنداء بوحدة المسلمين وتكثفهم. هذا إلى جانب إن الدافع إلى الكتابة في هذا الموضوع الرغبة في التعرف على موقف الإمام ابن باديس من هذه الطرق باعتباره أحد المصلحين الكبار الذين عالجوا هذه الظاهرة الدينية المتطرفة، واهتموا بها كثيراً.

وترجع أهمية هذا البحث أيضاً إلى أنه يجيب على العديد من التساؤلات وهي: ما هي الأسباب التي دفعت الإمام إلى مواجهة الطرق الصوفية المنحرفة؟ وكيف عالج هذه الظاهرة؟ وهل وفق في هذه المعركة التي خاضها؟ وما هو التصوف المشروع عنده؟.

(١) ولد عبد الحميد بن مصطفى بن مكي بن باديس الصنهاجي، في مدينة قسنطينة من شرق الجزائر، يوم ٤/١٢/١٨٨٩م، من أسرة معروفة بالعلم والجاه والثراء. وكان لها دور كبير في تاريخ المغرب العربي سياسياً وعلمياً ودينياً، وترجع في أصولها إلى المعز بن باديس الصنهاجي، مؤسس الدولة الصنهاجية الأولى. حفظ ابن باديس القرآن وهو في الخامسة من عمره على يد الشيخ محمد المداسي، وأتم حفظه في الثالثة عشرة من عمره، وفي عام ١٩٠٣م، اختار له والده أحد علماء قسنطينة المشهور بالعلم والصلاح والفتى كي يلقنه العلوم العربية والإسلامية وهو الشيخ حمدان الوينسي، فرباه على العلم والفضل والأدب، وأوصاه بالابتعاد عن الوظائف، وقرأه العلم للعلم لا للرفع. ثم سافر إلى تونس وألتحق بجامعة الزيتونة سنة ١٩٠٨م، لإطلب العلم وتكلم على صفوة علمائه الشيخ محمد القيرواني، والعلامة محمد الطاهر بن عثور، وغيرهم من أفاضل علماء جامعة الزيتونة. وتخرج منها سنة ١٩١٢م، ونال شهادة عليا "التطويع"، وذهب إلى الحج سنة ١٩١٢م، وألقت في المدينة المنورة بشيخه الجزائري المهاجر الوينسي، والشيخ البشير الإبراهيمي، وزار لبنان وسوريا ومصر، في طريق عودته، وأجازته الشيخ بخيت من كبار علماء الأزهر بشهادة العلمية من الأزهر الشريف. توفي سنة ١٩٤٠م. أما عن آثاره العلمية - فهو لم يهتم بتدوين فكره في الكتب، حيث يقول: "شغلنا تأليف الرجال عن الكتب"، ولذلك فإن كل ما يوجد من آثاره هو من جمع تلاميذه، فنكر منها: "تفسير ابن باديس في مجالس التذكير"، "من الهدى النبوي"، "رجال السلف ونسلاؤه"، "عقيدة التوحيد من القرآن والسنة"، "أحسن القصص"، "رسالة في الأصول"، "والمقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية". وغيرها. أنظر: ابن باديس، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص ٥، ١٤. وخير الدين الزر كلّي، الأعلام، دار العلم للملايين - بيروت، مج ٣، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٢٨٩.

وقد اعتمدنا في معالجة هذا الموضوع على المنهج التحليلي، وكذلك على المنهج التاريخي كمنهج فرعي يفيدنا في معرفة الظروف الزمانية والمكانية المؤثرة في كتاباته، ومدى انعكاسها عليه وعلى أفكاره ورواه.

وقد تضمن البحث الحديث عن النقاط التالية :

أولاً :- الطرق الصوفية في الجزائر .

ثانياً :- موقف الإمام من الطرق الصوفية المنحرفة .

ثالثاً :- الانتقادات التي وجهها الإمام للطريقة.

رابعاً :- التصوف المشروع عند الإمام ابن باديس.

أولاً : الطرق الصوفية في الجزائر :

لقد انتشرت الطرق الصوفية بشكل كبير في بلاد المغرب العربي ، والجزائر خاصة . ويرجع سبب الانتشار فيها، إلى "بعد سقوط الأندلس حين أصبح الخطر المسيحي على الشمال الأفريقي داهماً في أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر الميلادي. حينها بدأ التفكك ينال من الدولة الإسلامية ، وأصبحت شعوب المنطقة تعيش أزمة روحية عميقة بعدما سحبت ثقتها من القادة الذين أوصلوا الأمة إلى ما وصلت إليه من تدهور وانحطاط"^(١).

ونتيجة لذلك ، انتشرت موجة دينية عارمة في المدارس الصوفية ، وخلقت عشرات الطرق ووضعت ثقتها بمن رأت فيهم مثلاً للثقوى والصدق والطهارة^(٢) بدلاً من رجال السياسة "السلاطين والأمراء" التي تغيرت حياتهم من البساطة إلى التعقيد، والترف والبذخ على أنفسهم ومصالحهم. ولذلك فقد كثرت الطرق الصوفية وانتشرت بشكل كبير، في بلاد المغرب الإسلامي، والجزائر خاصة. فكانت للطريقة أي لكل طريقة شيخ له أساليبه في تدريس القرآن وإيصال تعاليمه ، وفي إدارة حلقات الذكر وتلاوة التراويح والمدائح النبوية في شهر رمضان^(٣).

وبالتالي، فإن الطرق الصوفية بالجزائر كما يقول د. يحيى بن عزيز تنقسم إلى نوعين اثنين أساسيين وبارزين :- النوع الأول : فهو خلواتي يدعى شيوخها المعرفة بأسرار دينية غيبية خاصة ، والقدرة على تلقينها لأتباعهم الذين يدعون بالمريدين أو الأخوان أو الفقراء ، حسب اختلاف الطرق والجهات والمناطق. وكانت لهم أذكار خاصة يتلونونها في خلوات خاصة معزولة ومظلمة ، لمدة معينة. وهذه الظاهرة الخلوتية هي التي استوجبت تسمية شيوخها ، بالطرقيين "أي لكل واحد منهم طريقة خاصة - في السلوك والأذكار، وفي تلاوتها"، مثل ذكر الاسم الأعظم "الله" في الخلوات الخاصة والحضرة الجماعية ، لدى العلويين^(٤) الذين هم فرع من الشاذلية^(٥). أما النوع الثاني :- فهو غير خلواتي ، ولا يدعى شيوخها معرفة أسرار دينية معينة ، ولكن يتخذون لا أنفسهم وأتباعهم ورداً معيناً من الأذكار والصلوات ، يتلونونها وراء الصلوات ، ومنها نجد الطريقة التيجانية^(٦)، التي تفرض على أتباعها ذكر وتلاوة ما يعرف بالهيللة ، وهو ترديد كلمة : لا إله إلا الله عدة مئات من المرات^(٧).

(١)- جورج الراسي ، الإسلام الجزائري من الأمير عبد القادر إلى أمراء الجماعات ، دار الجديد - بيروت ، ١٩٩٧م ، ص ٢٠٤.

(٢)- المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣)- المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٤)- الطريقة العلوية التي أسسها أحمد بن مصطفى بن محمد المستغني الشهير "ابن طيوة". انظر:- علل نويهض ، معجم أعلام الجزائر ، مؤسسة نويهض الثقافية - بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٣ م ، ص ٣٦٧.

(٥)- الشاذلية :- نسبة لمؤسسها علي بن عبد الله الجبار الشاذلي ، من مواليد ١١٩٧ م ، توفي سنة ١٢٥٨ م ، وتبني الطريقة طلب العلم وكثرة الذكر ، وهي منتشرة في معظم البلدان العربية . وخاصة تونس. انظر:- جورج الراسي ، الإسلام الجزائري ، ص ٢٠٧-٢٠٨ .

(٦)- التيجانية :- تعود إلى مؤسسها الحقيقي أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني ، المولود في جنوب الجزائر سنة ١٢٣٧ م. فدرس العلوم الشرعية وارتحل إلى العديد من البلدان العربية ، واستقر في النهاية بفاس في المغرب ، وتوفي سنة ١٨١٥ م للمزيد. انظر:- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية ، مكتبة مدبولي- القاهرة ، ١٩٨٩ م ، ص ٦١-٧٠.

(٧)- يحيى أبو عزيز ، الدور الديني والسياسي للطرق الصوفية بالجزائر ، مقال بمجلة الحضارة الإسلامية - العدد ٢ ، أبريل ١٩٩٦ م ، ص ٢٠٢-٢٠٣ .

إن هذه الطرق والزوايا، قد لعبت دوراً هاماً ورائداً في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية بالجزائر. فقد اهتمت بتحفيظ القرآن الكريم، واحتضنت اللغة والثقافة العربية الإسلامية، وعملت على نشر الإسلام في المواطن والأصقاع البعيدة وخاصة الأقاليم الصحراوية النائية.

كذلك عملت على إزالة الفوارق الاجتماعية والاقتصادية بين الفئات والشرائح الاجتماعية المختلفة، وإنهاء الخلافات والخصومات بين الناس، بالإضافة إلى أن الزوايا كانت بمثابة مخازن، ودواوين للكتب، والمخطوطات العلمية في مختلف أنواع العلوم والفنون، والمعارف^(٥). كما أن الزوايا قد تحولت خلال الثورات إلى خلية للتخطيط بزعامة شيخ الطريقة - الذي كان رجل دين ودينا- ينطلق المجاهدون بقيادته إلى جهاد الكفار^(٦).

والحق أن الطرق الصوفية كانت لها مشاركة فعالة في مقاومة نظم الحكم الطاغية والمستبدة سواء منها المحلية والوطنية أو الاستعمارية الأجنبية.

فقد لعبت دوراً كبيراً في "إشعال الثورات الفلاحية وقيادتها، فمعظم الثورات التي شهدتها البلاد منذ حكم الأتراك وحتى نهاية الحكم الفرنسي كانت بشكل أو بآخر، مرتبطة بواحدة من تلك الأخويات الدينية التي لعبت دور حزب سياسي حقيقي يخضع لسلطة مركزية قوية، توحّد بين أعضائه عقيدة دينية وفكرية متينة"^(٧). ومن هذه الطرق، الطريقة الدرقاوية^(٨) الشاذلية، والتيجانية، التي قاومت العثمانيين المستبدين في شرق البلاد وغربها، وجنوبها الشرقي قبل عام ١٨٣٠م.

كما أن الطرق الصوفية الرحمانية^(٩) والسنوسية^(١٠) والقادرية^(١١)، حاربت الاستعمار الفرنسي والإنجليزي في الجزائر، وتونس، وليبيا، ومصر، ومعظم بلدان غرب أفريقيا ووسطها^(١٢). فمثلاً:- ثورة الأمير عبد القادر^(١٣) القادري، الذي كان ينتمي إلى الطريقة القادرية، فهو قد ارتكز عليها عندما رفع راية الجهاد عام ١٨٣٢م، ضد الاحتلال الفرنسي^(١٤). وغيرها من الثورات التي قامت بها الطرق الصوفية في الجزائر خاصة، سواء كان ذلك في عهد الأتراك العثمانيين، أو في عهد الاحتلال الفرنسي، غير أن المجال هنا لا يتسع لذكرها جميعاً. وبالتالي، فقد بذلت هذه الطرق الصوفية جهوداً كبيرة وجبارة من أجل الحفاظ على الشخصية الإسلامية، والوجه العربي الإسلامي للجزائر وشعبها. ولعل خير دليل على ذلك ما قاله أحمد

(٥)- المرجع السابق، ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٦)- انظر :- طالب عبد الرحمن، الكتيّب القرآنية من ١٩٥٥-١٩٧٧م، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، ١٩٨٣م، ص ١٦. ونور سلمان، الأقباط الجزائري في رحاب الرضا والتحرير، دار العلم للملايين - بيروت، "د-ت"، ص ١٢٢-١٢٤.

(٧)- جورج الراسي، الإسلام الجزائري، ص ٢٠٤-٢٠٥.
(٨)- الدرقاوية: من الطرق الصوفية التي أنشئت في الغرب الجزائري، وتنسب إلى مؤسسها العربي الدرقاوي الذي اشتهر بمعرفته وعلمه. وقد قاومت الاحتلال التركي، حيث أشعلت ثورات عدة ضد قمع الأتراك؛ كما أنها قاومت الاحتلال الفرنسي خاصة خلال عامي ١٨٣٥م، ١٨٣٥م. أنظر :- جورج الراسي، الإسلام الجزائري، ص ٢٠٨-٢١٠.

(٩)- الرحمانية: تنسب إلى مؤسسها محمد بن عبد الرحمن القشتولي الجزائري، "ت ١٧٩٣م"، وتعود هذه الطريقة إلى الطريقة الخلوتية، وقد نشأت في القرن الرابع عشر الميلادي، وهي ترجع بالسند إلى التجنيد. أنظر :- أبو الوفاء التفازاني، الطرق الصوفية في مصر، مطبعة الأمانة - القاهرة، ١٩٩١م، ص ٧١-٧١.

(١٠)- السنوسية: تنسب إلى مؤسسها محمد بن علي السنوسي، من مواليد مستغانم في غرب الجزائر عام ١٧٩٦م. فهاجر إلى دول الشرق بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، وقد أصل رسالته ابنه سيدي المهدي السنوسي. أنظر :- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ١٨٣٠-١٩٥٤م، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥م، ج ٤، ص ٢٤٤-٢٦٦.

(١١)- القادرية: تعتبر من أقدم الطرق المعروفة والمنتشرة في الجزائر. إليها تنتمي عائلة الأمير عبد القادر، أسسها في الشرق عبد القادر الجيلاني -سبيع عاطف الزين، الصوفية في نظر الإسلام، دار الكتب اللبناني - بيروت، دار الكتب المصري - القاهرة، ط ٣، ص ٥٤٤-٥٤٥. وجورج الراسي، الإسلام الجزائري، ص ٢٠٧.

(١٢)- يحي بو عزيز، الدور الديني والسياسي للطرق الصوفية بالجزائر، ص ٢٠٥.
(١٣)- الأمير عبد القادر ١٨٠٧-١٨٨٣م، كان قد تعلم في وهران، وحج مع أبيه، فزار المدينة ودمشق وبغداد، ولما دخل الفرنسيون الجزائر سنة ١٨٣٠م، بايعه أهلها وولوه القيام بأمر الجهاد فنهض بهم وقاتل الفرنسيين خمسة عشر عاماً، وإنشاء معامل للأسلحة والأدوات الحربية وملابس الجند، ولما هادن سلطان المغرب الأقصى الفرنسيين ضعف أمره، فاستسلم للفرنسيين سنة ١٨٤٧م. فنفوه إلى طولون، ومنها إلى امبواز، زاره نابليون الثالث، فمسخه مشروطاً لا يعود إلى الجزائر، استقر في دمشق وتوفي فيها. من آثاره :- ذكرى العقل، رسالة العلوم والأخلاق، ديوان شعره، وغيره. أنظر :- الزركلي، الإعلام، ج ٤، ص ٤٥.

(١٤)- انظر :- جورج الراسي، الإسلام الجزائري، ص ٢٠٥.

توفيق المدني _ أحد أعضاء جمعية "العلماء المسلمين الجزائريين": "أنها استطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجهل والظلمات ، وعمل رجالها الكاملون الأولون علي تأسيس الزوايا والرباطات يرجعون فيها الضالين إلي سواء السبيل ، ويقومون بتعليم الناشئة وبث العلم في صدور الرجال . ولولا تلك الجهود العظيمة التي بذلوها ، والتي نقف أمامها موقف المعترف المعجب ، لما كنا نجد الساعة في بلادنا أثرا للعربية ، ولا لعلوم الدين . فالزوايا الكبرى أمثال "معهد الهامل" ، و"معهد اليلولي" ، و"معهد سيدي منصور" هي التي كونت دائما في هذه البلاد طبقة فاضلة من العلماء والفقهاء ، وحفظة القرآن الشريف، وكانت واسطة فعالة في نقل الإسلام إلي بلاد أقاصي الجنوب والسودان"^(١).

ولكن رغم ذلك فإن هذه الطرق _ بمرور الزمن _ انحرف بها أتباعها عن السبيل الذي رسمه لها مؤسسوها الأوائل ، ودخلتها شوائب كثيرة ، وغلبت عليها مظاهر الدروشة والدجل والشعوذة التي أصبحت السمة السائدة آنذاك .

الأمر الذي دفع الإمام ابن باديس إلي التصدي لهذه الانحرافات الخطيرة ، وقد تجلى ذلك في ثورته العنيفة علي الطرق الصوفية المنحرفة ، ورفضه للأوضاع الطرقية جملة وتفصيلا ، لأنها _ كما يقول: "بعدة لم يعرفها السلف الصالح"^(٢)، سواء في عهد النبوة أم في عهد الصحابة والتابعين ، ودعوته للرجوع إلي مصادر الهداية الصحيحة "الكتاب والسنة"، سواء في مجال العقيدة أو في الفقه ، أو التربية الروحية، وكان ذلك التصدي من خلال الخطب والدروس ، والمحاضرات ، وظل قلمه طوال عقود من السنين _ سيفاً مسلطاً عليها .

ثانياً :- موقف الإمام من الطرق الصوفية المنحرفة :-

قبل أن نعرض موقف الإمام ، فلا بد لنا من ذكر إذا كان الإمام صوفياً أم لا؟ وما هو الأسلوب الذي اتبعه لمواجهتهم ؟

لقد ذهب معظم الآراء التي تناولت شخصية الإمام، إلي أنه كان متصوفاً، فالمفكر الجزائري مالك بن نبي يعتبره متصوفاً^(٣)، والدكتور - محمود قاسم يقول:- بأنه يميل إلي أنه كان متصوفاً سنياً بمعنى الكلمة"^(٤). وكذلك الدكتور:- عمار طالبي"^(٥) جامع آثاره" الذي يري بأن ابن باديس كان صوفياً زاهداً ، ولكن ليس كمتصوفة أهل زمانه. أما الدكتور - احمد الجزار^(٦)، فإنه يعتبر الإمام صوفياً سنياً مجدداً ، وهو ما يميل إليه الباحث .

أما عن الأسلوب ، فمن المعروف عن الإمام أنه كان يؤمن بأن المدعين للتصوف من أهم المعوقات التي تواجه حركته الإصلاحية ، ولكن رغم ذلك فقد حاول أن يجمع أصحابه علي الهدف الحق ، لأنه كان يسلك دائماً مسلك الدعوة بالحسنى قبل أن يلجأ إلي الصراع مع هؤلاء المتصوفة الجزائريين الذي تربطه بهم روابط الأخوة في الدين ، وأراد أن يستفيد من تلك العناصر الصالحة التي تساندته في حركته الإصلاحية غير أنه تبين له، أن الكثير من الطرق قد وقعت تحت تأثير الاستعمار. وبالتالي "فليس من الغلو في شيء أن يحاربهم الإمام بكل هذا العنف الذي أتاح له أن يستخلص العامة من سلطانهم ، وأن يقضي علي شيوخهم ، قبل أن يهدم الطريق أمام الجيل الذي أعده للقضاء علي المستعمر"^(٧).

والسؤال هل نجح الإمام في ذلك ؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال ، وحتى نعطي صورة واضحة عما تنتشره الطرق الصوفية الضالة من بدع وخرافات في الدين ، فلا بد لنا من القول أن جهود ابن باديس في هذا الصدد _ كما سيتضح معنا - تتشابه إلي حد بعيد مع جهود غيره من أئمة الإصلاح والهداية كابن تيمية

(١). أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب _ الجزائر ، ١٩٨٤م ، ص ٣٧٦.

(٢). ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية _ الجزائر ، ٢٠٠٥م ، ج ٥ ، ص ١٥٥.

(٣). مالك بن نبي ، من أجل التغيير ، دار الفكر _ دمشق ، ط ٥ ، ٢٠٠٦م ، ص ٤٥.

(٤). محمود قاسم ، الإمام ابن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ، دار المعارف _ مصر ، "د-ت" ، ص ٤٨.

(٥). ابن باديس حياته وآثاره ، ج ١ ، ص ٩٢ "المقدمة".

(٦). أحمد الجزار ، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف ، منشأة المعارف _ الإسكندرية ، ١٩٩٩م ، ص ١٣٥.

(٧). محمود قاسم ، الإمام ابن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ، ص ٤٨-٤٩.

الحراني الذي يعتبر "القائد الأول لحركة الطعن التي وجهت فيها سهام التكفير والتشنيع إلى أصحاب الأنواق والمواجيد"^(٥)، وتلميذه ابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب، والأفغاني والشيخ محمد عبده وغيرهم. غير أننا سنركز على بعض المعاصرين لابن باديس وأخص منهم مؤسسي "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" وهم: الشيخ مبارك الميلي والشيخ البشير الإبراهيمي حتى نعرف مدى الانحرافات والبدع التي تنشرها هذه الطرق في الجزائر خاصة. فالشيخ مبارك الميلي كان قد كتب كتاباً بعنوان: "رسالة الشرك ومظاهره" - آنذاك - ذكر فيه مصائب الطريقين، وفيما يلي بعض منها:

(١) - انتصابهم للتوسط بين الله وعباده في قبول التوبة وأخذهم عليهم البيعة والعهد والميثاق بالطاعة لهم ولزوم الطريقة وخدمة الزاوية. ويفرضون مشيختهم على غيرهم بقولهم: "من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه".

(٢) - الترفع عن التكليف الشرعية، والترخيص لأتباعهم في إتباع أهوائهم وضمنان الجنة للصادقين في خدمتهم.

(٣) - صرف قلوب الناس عن الله إليهم بالرجاء فيهم والخشية منهم والاعتماد في سعادة الدارين عليهم.

(٤) - بث الجمود في الناس وتلقيح غفلتهم ثم حثهم على زيارتهم والرحلة إليهم لاستدراار أموالهم.

(٥) - الاعتماد في دينهم على الخرافات^(٦). وغيرها من مظاهر الشرك والممارسات الخاطئة للدين، والبدع التي دفعت العلماء إلى محاربة تلك الطرق، ومن بينهم الإمام ابن باديس.

ويذهب الشيخ البشير الإبراهيمي إلى القول: "كان من نتائج الدراسات المتكررة للمجتمع الجزائري، وبني ابن باديس منذ اجتماعنا في المدينة المنورة أن البلاء المنصب على هذا الشعب المسكين أت من جهتين متعاونتين عليه، وبعبارة أوضح من استعمارين مشتركين يمتصان دمه ويتعرقان لحمه، ويفسدان عليه دينه ودنياه: استعمار مادي هو الاستعمار الفرنسي يعتمد على الحديد والنار، واستعمار روحاني يمثل مشايخ الطرق الصوفية المؤثرون في الشعب والمتغلغلون في جميع أوساطه المتاجرون باسم الدين المتعاونون مع الاستعمار عن رضي وطواعية، وقد طال أمد هذا الاستعمار الأخير وثقلت وطأته على الشعب حتى أصبح يتألم ولا يبوح بالشكوى أو الانتقاد خوفاً من الله بزعمه"^(٧). ثم يوضح لنا الشيخ الإبراهيمي - الدوافع وراء محاربة ضلالات أهل الطرق الصوفية، فيقول: "ونعلم أننا حين نقاومها، نقاوم كل شر، وأننا حين نقضي عليها - إن شاء الله - نقضي على كل باطل ومنكر وضلال"^(٨).

أما الإمام المصلح ابن باديس فقد أصدر في عام ١٩٢٥م، جريدة "المنتقد" لتتولى محاربة الخرافات والبدع التي كانت تروج في ركاب الطريقة المنحرفة، محاربة - كما يقول ابن باديس: "لا هوادة فيها ولا لين"^(٩). ولعلها لم تختار هذا الاسم عنواناً لها إلا لتعرض بالا اعتقادات التي يشيعها أدعياء التصوف في الشعب الساذج آنذ مثل "اعتقد ولا تنتقد"، "وسلم تسلم"، فشعار الأول الذي كان شائعاً هو دعوة صريحة إلى التخلي عن أعمال العقل، والى كبح الإحساس عن أن ينطلق متسائلاً متوجهاً إلى العمل الإيجابي. وشعار الثاني دعوة إلى التسليم الأعمى بما يقوله شيخ الطريقة دون نقاش حتى يضمن السلامة في الآخرة، أي الجنة^(١٠).

كان ابن باديس يريد من خلال اختيار هذا العنوان "المنتقد" أن الخلاص الحقيقي هو في القضاء على هذه الشعارات، وفي انتهاج النقد لكل ما هو قائم آنذاك^(١١). وهذا ما تم له بالفعل.

(٥) - أنظر: محمد مصطفى حلمي، الحياة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للتأليف - القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٥٧. وأيضاً راجع: نقد ابن تيمية للبدع الصوفية في: رسائل ومسائل، طبع رشيد رضا - القاهرة، ١٣٤١هـ، ص ١٤٢ وما بعدها.

(٦) - أنظر: مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ٥، ٢٠٠٠م، ص ٢٥٢، ٢٦٠.

(٧) - الشيخ البشير الإبراهيمي، أنا، مجلة مجمع اللغة العربية، عدد ٢١، سنة ١٩٦٦م، القاهرة، ص ١٤٥.

(٨) - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالع الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٧م، ج ١، ص ١٢٦-١٢٥.

(٩) - ابن باديس، آثار الإمام ابن باديس، ج ٥، ص ٥٧٦.

(١٠) - أنظر: مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ص ٢١.

(١١) - محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، دار الثقافة - بيروت، ١٩٧٣م، ص ١٢.

وخاصة إن وجود العشرات من الطرق الصوفية التي انحرفت عن جادة الدين وجوهره ، على يد معظم خلفائها الذين خلطوا الأمور ، وأكثروا من البدع ، وادعوا صفات الإلهية أمام العامة من أتباعهم الذين اقتنعوا بقدرتهم على المنع والحرمان ، وقد أدى هذا السلوك المنحرف لا أصحاب هذه الطرق إلى فساد الفطرة الإسلامية ، وتفكك روح الأخوة الإسلامية وتطويع الجزائريين على الذل والمهانة والخضوع للاستعمار الفرنسي ، وقد أدى تعاونهم مع الاستعمار إلى احتفاظهم بامتيازاتهم المادية ، ونفوذهم على الأهالي خاصة في جنوب الجزائر وشكلوا بذلك خطراً على البلاد ، وعلى الحركة القومية الجزائرية^(٥).

الأمر الذي دعا الإمام إلى أن يحارب هذه الطرق ويكثف جهوده لمقاومتها ، حيث يقول : "حاربنا الطرق الصوفية لما عرفنا فيها _ علم الله _ من بلاء على الأمة من الداخل ومن الخارج فعملنا على كشفها وهدمها مهما تحملنا في ذلك من صعاب ، وقد بلغنا غايتنا والحمد لله ..."^(٦). لأن هذه "الطرق المبتدعة في الإسلام ، هي سبب تفرق المسلمين .. وأنها هي السبب الأكبر في ضلالهم في الدين والدينا"^(٧).

أنه من المعروف أن البعض من رجال الطرق الصوفية في الجزائر كانوا يمثلون أفة اجتماعية خطيرة لاستغلالهم سذاجة الناس وخاصة تلك الفئة التي انقادت إليهم ورأت في فرنسا المنقذ الوحيد وربطت مصيرها بالوجود الفرنسي الدائم في الشمال الأفريقي. وقد استطاع المدعون للتصوف من أهل الطرق التأثير بشكل كبير وفعال على الجزائريين ، وأصبحت لهم كلمة مسموعة ، وقد عبر عن ذلك أحد الكتاب الأوروبيين بقوله : "الصوفي هو ذلك الشخص الذي منح نفسه قدرة إلهية خاصة وبفضل هذه القوة حصل على مركز رفيع من القدسية الروحية وأصبح معروفاً بين أقرانه بأنه يمتلك المعرفة الدينية الكاملة ويمكن استشارته في أدق أمور الدين وأنه المعلم الحقيقي للعقيدة الدينية وبذلك يصبح اسمه في عالم الخيال"^(٨). نستنتج من هذا القول: أن المتصوف الذي ذكره الكاتب هو من المدعين للتصوف وأحد المخادعين ، لأن المتصوف الحق يتجرد من هذه المظاهر التي ذكرها ولا يهدف إلا إلى التقرب إلى الله والعمل ابتغاء وجهه . والواقع إن فرنسا قد اعتادت التعامل مع رجال الطرق الصوفية المقلدين وأخذت تغريهم بالرواتب المجزية التي كانت تمنحها لهم خارج الميزانية ، وبالتالي عمل أولئك لحسابها واجتهدوا في الترويج لدعايتها. يقول: د محمد عمارة _ إن رجال الطرق الصوفية المنحرفين قد وضعوا أنفسهم في خدمة المستعمر ، وأصبحوا أدواته يعتمد عليها في تخدير الجماهير ، وصوروا للناس ما أنزل الفرنسيون بالبلاد على أنه إرادة الله سبحانه ؟! ودعوا من أجل ذلك للاندماج في فرنسا امتثالاً لإرادة الله هذه ؟!.. وقالوا: إذا كنا أصبحنا فرنسيين فقد أراد الله ذلك ، وهو على كل شيء قدير .. فإذا أراد الله أن يكسح الفرنسيين من هذه البلاد فعل ، وكان ذلك عليه أمراً يسيراً ، ولكنه كما ترون يمدهم بالقوة ، وهي مظهر قدرته الإلهية ، فلنحمد الله ولنخضع لإرادته ؟!.."^(٩).

إذاً لقد حاول المدعون للتصوف أو الطرقيون تخدير الجماهير بدعوى أن وجود الاحتلال هو من باب القضاء والقدر الذي ينبغي التسليم به والصبر عليه ، ومن حيث حض الشعب على قبول السيطرة الاستعمارية والخضوع لها بدعوى طاعة ولي الأمر ، مفسرين مدلول قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(١٠) إلى آخر الآية . على هذا الأساس ، ومن حيث إعطاء صورة مشوهة عن الإسلام للشبيبة الجزائرية عن طريق نشر

(٥)- أنظر:- نبيل بلاسي، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب _ مصر ، ٢٠٠٦م ، ص ٤٨.

(١)- ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ج٥ ، ص ٥٧٦.

(٢)- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج١ ، ص ١٢٥-١٢٦.

(٣)- أنظر:- ناهد دسوقي ، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، منشأة المعارف _ الإسكندرية ، ٢٠٠١م ، ص ٢٥٣.

(٤)- محمد عمارة ، مسلمون ثوار ، دار الشروق _ القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٨م ، ص ٤٨١.

(١)- سورة النساء ، الآية : ٥٩.

البدع والخرافات المنافية تماماً لنقاء الإسلام وأصالته ، ومن حيث مقاومة كل محاولة إصلاحية تقوم في البلاد لتغيير أوضاعها الشاذة.

وهذا الموقف من جانب المدعين للتصوف أدى إلى اصطدامهم بالعلماء المصلحين وعلى رأسهم الإمام ابن باديس، الذين أعلنوا شعارهم في كل مكان "النقاء والطهر هما رمز الإسلام"^(١). وقد أعلن الإمام محاربته لهم بقوله: "كان الناس كأنهم لا يرون الإسلام إلا في الطريقة وقد زاد ضلالهم ما كانوا يرون من الجامدين والمغرورين من المنتسبين من التمسك بها والتأييد لشييوخها . فلما ارتفعت دعوة الإصلاح في مجلة "المنتقد" و"الشهاب" حسب الناس إن هدم تلك الأضاليل التي طال عليها الزمان ورسخها الجهل وأيدها الحكم الفرنسي محال، ولقد صمد "الشهاب" للطريقة وحارب ما أدخلته على القول من فساد عقائد وعلى العقول من باطل وأوهام وعلى الإسلام من زور وتحريف وتشويه إلى ما صرفت به الأمة عن خالقها بما نصبت من أنصاب وشئت من كلماتها بما اختلقت من أكاذيب وقتلت من عزتها بما اصطنعت من إرهاب حتى حقت للحق على باطلها الغلبة فهي اليوم معروفة عند أكثر الأمة حقيقتها معلومة غايتها مفصوحة دوافعها"^(٢) ويضيف قاتلاً: "إذا دعاها داعي السلطان لبت خاضعة مندفة ، وإذا دعاها داعي الأمة ولت على أعقابها مدبرة ومن نكاية الله بها أن جعل أكبر فضيحتها على يد من تولتهم من دون الأمة وروج لها بما لها من مزايا عليه. لا يهمننا اليوم أن نجهز على الجريح المثخن الذي لم يبق منه إلا دماء وإنما يهمننا أن نبين موقفنا مع البقية من شييوخها ونسمعهم صريح كلمتنا..."^(٣).

إذا لقد صارت أوضاع هؤلاء المدعين بدعة مبذية - كما يصفها الإمام - "على الغلو في الشيخ والتحيز لأتباع الشيخ وخدمه دار الشيخ وأولاد الشيخ إلى ما هنالك من استغلال وإذلال ، ومن تجريد للعقول ، وإماتة للهمم ، وقتل للشعور وغير ذلك من الشرور"^(٤). كما أن ابن باديس كان قد فضح للعامة ممارسة شيوخ هذه الطرق للأساليب والممارسات الاستغلالية تحت غطاء الدين ، وسنار التقوى ، وهو ما لم يستغف السكوت عنه . ولعل أوضح دليل على ذلك ما جاء في الفصل الثامن من قانون جمعية الطريقة التجانية والذي يشير إلى غايتها من الوجود ، وفيه أن "غاية هذه الجمعية ألا المحافظة على نفوذ الزوايا والطرق، وعلى شهرتها وسمعتها ومكانتها"^(٥). ويرى ابن باديس أن الهدف من هذه الطريقة وغيرها هو البحث عن الجاه والسلطان والنفوذ والاستغلال. لذلك نجده يوجه انتقاداته الشديدة لها ، وعاب على رجال الطرق الصوفية في الجزائر إهمالهم لأمهاط القضايا الدينية والوطنية التي تهم الشعب ، وحصرهم أهداف تأسيس الجمعيات فيما يخص مصالحهم المادية الضيقة "النفوذ ! والشهرة ! والمكانة ! فهل أبقوا من مظاهر السلطان والمسيادة والكبرياء والعظمة والاستيلاء شيئاً ؟ هذه هي غايتهم : أن يبقوا مادة على الناس ، وأن يبقوا الناس مستعبدين لهم . أين هي التربية ؟ أين هو التعليم ؟ أين هو نشر الإسلام ؟ أين هي مقاومة المفسد والشرور ؟ أين هو الوعظ والإرشاد ؟، هذه كلها أمور لا نذكر لها عندهم ، لأنهم يخافون منها على سلطانهم ، ويخافون من نكرها على أنفسهم ممن يبتغون عندهم ما يبتغون"^(٦).

(٢)- انظر: ناهد دسوقي ، دراسات في تاريخ الجزائر ، ص ٢٥٣.

(٣)- ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ج٥ ، ص ٥٧٥.

(٤)- ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ج٥ ، ص ٥٧٥.

(٥)- المصدر السابق ، ص ١٥٥. لقد بلغ إتياع الطريقين في الجزائر حسب رواية د - صابر طالي - حوالي ٢٩٥٠٠ ألف تابع ومريد ، وهؤلاء جميعاً ، لم يكن لهم من عمل في هذه الحياة إلا أن يأكلوا مما تغرسه أيدي العاملين وعرق الكادحين ، لأنهم يتخونون من التصوف حرفة يكسبون من ورائها ويعيشون عليها . انظر: ابن باديس حياته وآثاره ، ج١ ، ص ١٨.

(٦)- ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ج٥ ، ص ١٦٢.

(٧)- المصدر السابق ، نفس الصفحة.

والحق إن مهاجمة الإمام المصلح للطرقية ، كان قد نجح فيه ، حيث زعزع نظام الطرقية ، وساهم في أضعاف مساندة الإدارة الاستعمارية ، حيث بين للشعب الجزائري مدى الخيانة التي وصلت إليها الطرق الصوفية المنحرفة سواء كان بتحالفها مع الاستعمار أو ما أحدثته من مظاهر البدع في الدين .

ولعل محاولة الاغتيال التي تعرض لها الإمام ، هي خير دليل على ذلك ، يقول د- تركي رايح : "أن تلك الحملة التي شنّها الإمام قد قوضت أركان الطرقية وحررت عقول الجزائريين ومعتقداتهم من الشرك والضلال ، أن تأمر البعض منهم على قتله حتى يستريحوا من حملته الضارية عليهم وبالفعل دبّروا مكيدة لاغتياله وكلفوا جماعة من أتباعهم بتنفيذها ، وذلك في عام ١٩٢٧م. وقد تربصوا له ذات ليلة في أحد أزقة مدينة قسنطينة وعندما كان راجعا إلى منزله بعد انتهائه من درس تفسير القرآن الكريم في الجامع الأخضر. خرج عليه أحدهم وضربه بعصا غليظة على رأسه ثم استل خنجرًا وأراد ذبحه به ولكن الإمام تمكن من القبض على الجاني واستغاث بالمارة فأنجدوه وقبضوا على المجرم ؛ وقد حاولوا الفتك به ولكن الإمام نهاهم عن ذلك ثم عفا عنه بعد أن اتضحت له خيوط المؤامرة وعرف مدبريها وهم رجال الطرق الصوفية الذين تقف الإدارة الاستعمارية وراءهم^(١) .

ولقد كانت لتلك الحادثة أثر كبير في الأوساط الإسلامية ، حيث أعطت صورة واضحة عن حقيقة الطرقية ، وبيّنت الهدف الذي يسعى إليه الإمام وهو إصلاح ، حال المسلمين ، والقضاء على البدع والخرافات بين العامة .

ولعل رفض الأمام للعديد من المحاولات التي بذلت للمصالحة بينهما ، دليل آخر، يؤكد صدق حركته الإصلاحية التجديدية ، ومن بين تلك المحاولات ، محاولة المصالحة في سنة ١٩٣٣م. وكان سبب رفض الإمام ، أنهم طلبوا منه ومن "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" أن تسكت على قيام الصوفية بممارسة البدع الدخيلة على الدين ، وأيضا أن تترك وتهجر الميدان السياسي والاشتغال بالسياسة^(٢) . كما رفض محاولة أخرى "للصلح" ، وكتب الإمام يومئذ في رفضه لهذه المحاولة ، فيقول: "إننا نعلن لإخواننا أننا على رجاء اليأس من خصوم تضع معهم حكمة لقمان ، ولا يجدي معهم حلم معاوية ، ولا يرضيهم عدل ابن الخطاب ، ولا تسامح صلاح الدين .. وليس لنزاعهم معنا غاية غير كتم أفواهنا وكسر أقلامنا ثم إقلال راحتنا إن أعجزتهم المقادير عن إزهاق أروحنا، وليس لهم إلى هذه الغاية غير وسيلتين:-إحداهما الوشاية بناء إلى الحكومة بأننا وطنيون ضد الاستعمار ، وأنا نعمل للجامعة الإسلامية.. وثانيهما الاختلاق علينا مع الأمة بأننا ندعي الاجتهاد ، وأنا نستخف بأمتنا في الدين ، وأنا ننكر الولاية والكرامة .."^(٣) ، ولذلك فإنه لا أمل في مثل هذا الصلح وذلك اللقاء.

إذاً لقد نجح الإمام من خلال "جمعية العلماء" نجاحاً ملحوظاً في تجريد هؤلاء المشعوذين من صلاحيات التحدث باسم الإسلام ، واخذ المجتمع الجزائري ينظر إليهم كمارقين قد باعوا دينهم وكرامتهم للمستعمر حتى لم يعدوا هم ومن تبعهم على درب الاندماج - يستحقون شرف الانتساب للإسلام . وكان لهذا النجاح أثر كبير في بقية الأقطار العربية مثل تونس والمغرب^(٤) . الأمر الذي دفع الجريدة الفرنسية "الريببليكان" إلى تصوير نجاح الإمام ابن باديس و"جمعية العلماء" هذا ، فتقول في غضب ومرارة : " لقد نجح هؤلاء في حمل الناس على البراءة من مواطنيهم الذين قبلوا أن يعدوا من الفرنسيين ، وامتنعوا عن دفنهم في مقابر المسلمين. وهؤلاء القادة ينفذون أوامر تأتيهم من القاهرة ودمشق ومكة ، وهي المدن التي تعمل فيها جماعات خفية

(١)- تركي رايح ، الإمام عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم ، رسالة ماجستير ، كلية التربية - جامعة عين شمس ، ١٩٩٩م ، ص ٢٣١.

(٢)- محمود قاسم ، ابن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ، ص ٤٠-٤١.

(٣)- أنظر:- محمود قاسم ، ابن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ، ص ٤١. ومحمد عمارة ، مسلمون ثوار ، ص ٤٨٢-٤٨٣.

(٤)- عبد الكريم أبو صفصاف، حركة محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس... ، ج١ ، ص ٦٧٨.

لتنفيذ أغراض على جانب كبير من الخطورة.. والتبعية في ذلك تقع على الحكومة الفرنسية، فهي التي تركت هؤلاء المتعصبين أو الخبيثين يبيثون دعوتهم، ويضيعون من سلطان أصدقائنا المرابطين^(٣) "الطرقية" أي أصحاب الطرق الصوفية المنحرفة"^(٤).

وسر نجاح ابن باديس و"جمعية العلماء" يرجع إلى الميثاق الذي قامت عليه الجمعية، فينص على: أن "الإسلام دين الإنسانية كلها، والسنة الحقيقية هي تفسير القرآن، وأن محمد هو أفضل الخلق والتوحيد هو أساس الدين وأن المراقبة بدعة وهي تعني استغلال الإنسان وقتل العقل والبدعة هي كل شكل من العبادة ليس له أصل في السنة والدعوة إلى ما دعا إليه الإسلام مع الرحمة والإحسان دون عدوان أو عداوة، وإن المعاندين المستغلين أحق الناس بالشدة والقسوة، وأخيراً ينبغي على المسلمين أن يتحدوا وأن ينسوا خلافاتهم في حال الخطر"^(٥). وتؤكد هذه المبادئ أن أهداف الجمعية هي إصلاح ما لحق بالدين من بدع وشوائب.

ثالثاً:- الانتقادات التي وجهها الإمام للطرقية :

والحق إن ابن باديس في إنشاء مواجهته للطرق الصوفية المنحرفة هو ليس الرفض للتصوف بل العمل على الإصلاح والتوجيه والتصحيح. وهذا ما نلمسه من خلال مقال كتابه في "مجلة الشهاب" سنة ١٩٢٧م، أوضح فيه "أن المسلمين مهما اختلفت مذاهبهم وتشعبت طرقهم وكثرت فرقهم، فإنهم متفقون على أصل دينهم"^(٦). لذلك نجده يدعو الطرفين وفي نفس الوقت المصلحين إلى المناقشة بالعلم والمنطق، عندما دعاهم إلى الإقلاع "عن المهاترة والمشاجرة والمغامرة والمغامرة مما هو حرام بإجماع المسلمين، واسلكوا في المناظرة طريق القرآن الكريم بيان لقول الخصم دون تعرض لشخصه وإقامة للحجة التي ترده عليه مع حسن السلوك والقصد في الوصول إلى الحقيقة والإذعان لها إذا حضرت علي أي لسان مع الشعور بأن الراد والمردود عليه إخوان يريد كل واحد منهما أن يهدي أخاه إلى ما يراه خيراً له، ويصرفه عما يراه شراً"^(٧). هكذا كان يدعو ابن باديس الطرفين إلى الإصلاح وإصلاح ما أفسد من القيم الدينية والأخلاقية لدى العامة. وهذا ما سيتضح معنا من خلال جملة الانتقادات التي وجهها لها، نذكر منها:-

(١) موقف ابن باديس من مزاعم أصحاب الطريقة العلوية :-

لقد بدأ الإمام ابن باديس حملته الإصلاحية في محاربة البدع والانحرافات، التي انتشرت بشكل كبير بين العامة، وكان سببها الطرقية، لذلك كان من بين الذين اصطدم بهم "الشيخ ابن علوية"^(٨)، مؤسس الطريقة العلوية الذي انفصل عن الطريقة الدرقاوية، وخلق لنفسه طريقة خاصة تحمل اسمه وعمل زاوية، ووضع لها طقوس غامضة، ودرجات كهنوتية"^(٩). مما

(٣)- المرابطة :- لقد جاءت المرابطة نتيجة لتدهور الإسلام وانتشار الغموض. وقد اتهموا بجهل القرآن، واستغلال الشعب وخدمه الاستعمار. يقول البشير الإبراهيمي: أن المرابطة هي الاستعمار في معناه الحديث المكتشف، وهي الاستعباد في صورته الفظيعة، لذلك أعلن العلماء الحرب على المرابطة تحت راية "لا غموض في الإسلام"، لأنها "هي سبب الفساد والأمراض" والانحراف الديني، والجهل، والإهمال في الحياة، والإلحاد بين الشبلي. ولهذا السبب عارضوا الموسيقى الصوفية، والرقص في الاحتفالات الدينية، وزيارة القبور، الزنا، وهاديا النقود إلى رؤساء الجمعيات الطرقية. انظر :- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ١٩٣٠-١٩٤٥م، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ٤، ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٤٠٣.

(٤)- أنظر: محمود قاسم، ابن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، ص ٩٥. ومحمد عمارة، مسلمون ثوار، ص ٤٨٣.

(٥)- أنظر: ابن باديس، آثار الإمام ابن باديس، ج ٥، ص ١٥٣-١٥٦.

(٦)- المصدر السابق، ص ٨٠.

(٧)- المصدر السابق، ص ٨١.

(٨)- ولد الشيخ ابن علوية في مدينة مستغانم عام ١٨٧٤م، وتلقى تعليمه الديني على يدا أستاذه الشيخ بوزيد الذي كان ينتمي إلى الطريقة الدرقاوية. ثم هاجر ابن علوية إلى الشرق الأدنى، وقد تنقل طويلاً بين مصر، وسورية، وإيران، والهند. وبعد الحرب عاد إلى الجزائر وشرع في حملة واسعة لبث أفكاره، فلجد أولاً جريدة "البلاغ الجزائري" التي كلفت من أكثر الجزائر العربية الأسبوعية انتشاراً في ذلك الوقت، والتي حملت أفكاره، توفي عام ١٩٣٤م. انظر:- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج ٢، ص ٣٩٥-٣٩٤.

(٩)- أنظر:- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج ٢، ص ٣٩٥.

"خرج عن تقليد الطريقين القدامى" (٢). وبالتالي فقد أدخل على طريقته بعض التجديدات ، كاعتناقه مبدأ الحلول ووحدة الوجود (٤) (٥)، وزعمه في أشعاره العامة بعض الأبيات الغريبة ، كقوله: بأنه "هو الله" وأنه "ليس سواه"، ومن هذه الأبيات :-
فتشت عليك يا الله
لقيت روعي أنا الله (٦).

الأمر الذي دفع بالإمام ابن باديس إلى مواجهته ونقده ، وتلخص هذه المواجهة كما حددها أحد الدارسين- في "نقطتين أولهما: ما تنتشره هذه الطريقة من مبادئ باطنية والدعوة إلى مذهب الحلول ووحدة الوجود. وثانيها: خطورة اتصال هذه الطريقة بالقوى الاستعمارية والتحالف والتعاون معها على العمل المنسق للنجاح المزدوج" (٧).

ولعل الدعوة إلى مذهب الحلول ووحدة الوجود ، من أهم الدوافع التي دفعت الإمام إلى نقدها بشدة ، وخاصة أنها تهدد عقيدة المسلمين ، الأمر الذي لا يحتمل - من وجهة نظر الإمام - السكوت عليه ، والدليل على ذلك أن الشيخ "الطيب العقي" (٨) ، عندما رد على هؤلاء الأتباع منكرًا عليهم دعواهم ، شكره الإمام في خطاب وقال : "فليتقدم إلينا الحلويون وشيوخهم ومن لف لفهم ، وكثر سوداهم في اليوم الموعود ، والمكان المعين لهم وليبادروا إلى إعلان ذلك في جريدتهم ، أن كانوا صادقين ، فإن لم يفعلوا واحصب أن لن يفعلوا فقد حقت عليهم كلمة العذاب وكانوا من الظالمين" (٩) ، ولم يكن الاعتقاد بالحلول شيئاً هيناً في نظر الإمام . يقول د- أحمد الجزار: "ادعت بعض الطوائف المنحرفة في الإسلام النبوة ، وكادت أن تسرى معتقداتها لدى بعض صوفية الطريقة من القائلين بالحلول" (١٠).

ومن هذه الطوائف في عصرنا كما - يقول الأمام - قبيلة الباب ، وإليه تنسب البابية ، والبهاء وإليه تنسب البهائية ، وعلام القادياني وإليه تنسب القاديانية ، وقد كادت هذه القاديانية تدخل الجزائر على يد طائفة الحلول وشيوخها ، لولا أن قام في وجوه العلماء المصلحون وفصحهم على صفحات جريدة "الشهاب" أيام كانت تصدر أسبوعياً ، فرد الله كيدهم ، ووقي الله الجزائر شراً عظيماً (١١).

فالاعتقاد بالحلول وبوحدة الوجود هي - في نظر الإمام ابن باديس- عقائد وفلسفات خيالية من خيالات وحدة الوجود الهندية شغل بها بعض الصوفية أنفسهم وجعلوها أعلى مراتب العبودية ، متأولين لها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (١٢). وهناك حديث يعتمد عليه القائلون بالحلول ، قال رسول ﷺ: "إن الله قال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذته وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره

(٣)- راجع:- عبد الكريم أبو صفصاف، حركة محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس ..، ج١، ص ٦٧٣.
(٤)- مصطلح وحدة الوجود ، هو مذهب فلسفي في طبيعة الوجود وتحديد العلاقة بين الله والعالم ، خلاسته أن الحقيقة الوجودية واحدة أي الله والعالم حقيقة واحدة ، وكل الأشياء في العالم الخارجي هي تميينات أو مظاهر للحقيقة الإلهية المطلقة من جهة وجودها وللذهب صور متعددة قديمة وحديثة ؛ فهناك وحدة وجود لدى أفلوطين ، وحدة الوجود لدى اسبينوزا .. الخ . انظر:- أحمد الجزار ، الإمام ابن باديس المجدد والتصوف ، ص ٣٥٣٤.

(٥)- عبد الكريم أبو صفصاف ، حركة محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس ..، ج١، ص ٦٧٤-٦٧٥.
(٦)- أنظر:- ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ج٥، ص ٢٨١.

(٧)- عبد الكريم أبو صفصاف ، حركة محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس ..، ج١، ص ٦٧٥.
(٨)- الشيخ الطيب بن محمد بن إبراهيم بن الحاج صالح ، والعقي هي نسبة إلى بلدة سيدي عقبة ، التي ولد فيها سنة ١٨٩٠م. عمل على إصلاح المجتمع من خلال الوعظ والسحافة في بسكرة ثم انتقل إلى قسنطينة حيث اشترى مطبعة ، فكان الإصلاح لساناً ثاقباً لحركة الإصلاح مع جريدة "الشهاب" ، أنظر:- محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، المطبعة المربية- الجزائر، ١٩٧١م، ص ١٠٤ وما بعدها.

(٩)- ابن باديس ، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، ج٥، ص ٤٢٣. وأنظر:- أحمد الجزار ، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف ، ص ٣٢.

(١٠)- أحمد الجزار ، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف ، ص ٣٢-٣٣.

(١١)- ابن باديس ، آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس ، ج٥، ص ٩٨.

(١٢)- سورة ، الكهف ، من الآية : ٢٨. وتكملة الآية : واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ الْعُقَيْيَةِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ . وأنظر:-

ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ج٥، ص ١١٨.

الموت وأنا أكره مساعته" (١). وهكذا يستنكر الإمام مثل هذه الاعتقادات "الطول ووحدة الوجود" لأنها تؤدي إلى الخروج عن العقيدة الإسلامية وعن التوحيد الخالص. وكذلك من الدوافع التي جعلت الإمام يشن هجومه على هذه الطريقة، هو ما نشره ابن علوية في أشعاره ما يسيء إلى الرسول ﷺ "وعند ما سئل عنها أعتذر، وأنه رأي الرسول ﷺ" في سكرة من سكراته، وأنه أراد أن يقترب منه في ذلة وخضوع فرأى منه ترفعاً وتذلاً، فنظم فيه أبياتاً وفيها يتهدد رسول الله ﷺ "ويتوعدده أنه إن مات بالشوق إليه فلا عذر له ينجي، وأنه سيحاكمه إلى الله وينتصر عليه" (٢).

وعندما علم الإمام ابن باديس بهذه الإساءة، كان رده عليه بأن كتب مقالا بعنوان: "جواب سؤال عن سؤال مقال" (٣) أوضح فيه للعامة حقيقة هذه المزاعم الباطلة، وقد نال هذا المقال موافقة كبار العلماء في المغرب العربي "تونس والجزائر والمغرب". والذين اعتبروا الشيخ ابن علوية رجلاً ضالاً عن العلم والأصول (٤). ولا شك أن الإمام ابن باديس أراد من خلال مواجهته الإصلاحية لهذه الطرق الصوفية المنحرفة، أن يحذر وينبه العامة إلى ما تنتشره هذه الطرق من بدع وأباطيل، وبالتالي فيجب مقاومة كل فاسد ومنحرف ومقاومة أنواع الشرك بما فيها من جهل وضلال وافتراء على الدين، وإن كل هذه الأشياء ليست من الدين ولا من التصوف في شيء.

٢- موقف الإمام ابن باديس من مزاعم أصحاب الطريقة التيجانية :-

لعلنا لا نجد مثلاً يوضح أكثر هذه البدع والانحرافات العقيدة عند الطرق الصوفية مثل: "صلاة الفاتح" (٥) التي اشتهرت بها الطريقة التيجانية، والتي يدعي أتباعها أن الرسول ﷺ "قد خص بها شيخهم التيجاني ولقنه إياها بنفسه"، والتي يقول عنها صاحبها "أبو عباس التيجاني": "سألته ﷺ عن فضلها فأخبرني أولاً: بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً: أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون، ومن كل ذكر، ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار... وإن صلاة الفاتح بستمائة ألف صلاة، وكل صلاة من الستمائة ألف صلاة بأربعمائة غزوة" (١). ونتيجة لهذه البدع والانحرافات التي تكرر ضلال المسلمين، وتوسع الهوة بينهم وبين القرآن، وتسهم في تشويه العقيدة وتعطيل أحكام الله تعالى. قام الإمام ابن باديس بالتصدي لها، وذلك من خلال مقال كتبه في مجلة "الشهاب" بعنوان: "جواب صريح" (٢) وكان قد أجاب فيه وعلق على العديد من الأسئلة، وخاصة تلك التي تتعلق بمزاعم أصحاب الطريقة التيجانية وخاصة "مسألة صلاة الفاتح". فهي تحمل أشياء غريبة وبدعاً، لم تكن لتصدر من شيوخ الصوفية الكبار. وبالتالي فهو يرد على تلك المزاعم الباطلة، مستنداً على المصادر التي استقى منها منهجه الإصلاحية وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لأنهم - حسب رأيه - لم يتقيدوا بأصول الشريعة الإسلامية.

ومن هذه المزاعم التي أوردها الإمام في مقاله هي :-

(١) - اعتقادهم بأن قراءة صلاة الفاتح أفضل من تلاوة القرآن ستة آلاف مرة، متأولين ذلك بالنسبة لمن لم يتأدب بأداب القرآن.

(١) - صحيح الأحاديث القدسية وشرحها، تحقيق: محمود بن الجميل، مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الصفا - القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ص ١٩٩.

(٢) - انظر: ابن باديس، آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج ٣، ص ٢١٣.

(٣) - وجاء هذا المقال في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة. انظر: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢١٣ - ٢٢٢.

(٤) - ومن العلماء "تونس" الشيخ محمد الطاهر ابن عشور والشيخ محمد النخلي، والشيخ محمد الصادق أنفير، والشيخ معاوية التميمي، ومن الجزائر: الشيخ شبيب بن علي التلمساني، والشيخ مولود بن موهوب القسنطيني، ومن المغرب: العابد بن أحمد بن العربي، والشيخ عبد القادر بن محمد ابن عبد القادر. ولمعرفة آراءهم. انظر: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢١٣، ٢٢٢، ٢٢٣.

(٥) - صلاة الفاتح هي من الفاظ الأذكار للطريقة التيجانية، ولفظها: "اللهم صلى على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراط المستقيم، وعلى آله حق قدره، ومقداره العظيم". انظر: علي حرازم بن العربي بريدة، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، دار الجيل - بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ج ١، ص ٦٠.

(١) - علي حرازم بن العربي بريدة، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، ص ١١٤ - ١١٥.

(٢) - انظر: ابن باديس. آثار الإمام عبد الحميد باديس، ج ٣، ص ٣١٢ - ٣١٩.

- (٢) - أن صلاة الفاتح من كلام الله القديم ولا يترتب عليها ثواب إلا لمن اعتقد ذلك.
- (٣) - يزعمون أن صلاة الفاتح قد علمها النبي ﷺ لصاحب الطريقة التيجانية ولم يعلمها لغيره.
- (٤) - أن مؤسس الطريقة التيجانية أفضل الأولياء.
- (٥) - أن المنتسب لهذه الطريقة التيجانية يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب وتغفر ذنوبه كلها^(٣).
- ولقد لخص الإمام ابن باديس رده على هذه البدع للطريقة التيجانية على النحو التالي :-
- أولاً :-** أن زعمهم بأن صلاة الفاتح أفضل من تلاوة القرآن فذلك مما يوجب الكفر لصاحبه ، لأن القرآن كلام الله ، وصلاة الفاتح من كلام المخلوق ، وبالتالي فمن يعتقد أن كلام المخلوق أفضل من كلام الخالق فقد كفر ، إذا كانت هذه الأفضلية للذات . وإذا لم تكن الأفضلية في غيرها ، كالنفع مثلاً :- فباطل ما زعموه لأن الأدلة النظرية والأثرية قاطعة بأفضلية القرآن على جميع الأذكار وهو ما كان عليه أئمة السلف الصالح^(١).
- ثانياً :-** يزعمون بأن صلاة الفاتح خير لعامة "الناس" من تلاوة القرآن ، لأن ثوابها محقق ولا يلحق بفاعلها إثم . ولا كذلك القرآن فإنه إذا تلاه العاصي كانت تلاوته عليه إثماً لمخالفته لما يتلوه . وهذا كله فيما يري الإمام ابن باديس زعم باطل ، لأنه مخالف لما عليه أئمة السلف والخلف ، من أن القرآن أفضل الأذكار^(٢).
- ثالثاً :-** زعمهم بأن صلاة الفاتح قد علمها النبي ﷺ . لشيخ الطريقة التيجانية ، فهو زعم باطل وموجب لتكفير صاحبه . وسبب ذلك مخالفته لما كان عليه النبي ﷺ في كل لحظة من لحظات حياته لم يقتصر عن تبليغ أوامر الرسالة حتى أداها على الوجه الأكمل .
- كما أن صلاة الفاتح ليست مثل الصلاة الإبراهيمية الواردة عن النبي ﷺ بالتواتر عندما سئل من الصحابة أن يعلمهم كيف يصلون عليه ، فانتظر حتى نزول الوحي ، ثم علمهم الصلاة بالطريقة المعروفة المتواترة عن الأمة بالإجماع في التشهد . وعلى ذلك فمن زعم خلاف ذلك ، وأنه اختص بشيء لم يعلمه النبي ﷺ لأمته ، فهذا موجب للتكفير إذ معناه أن النبي كتم عن أمته ما هو الأفضل ، وحرّم بالتالي قروناً منه . وهو الأمر الذي يخالف الدين فمن قال عليه ما يقتضى خلاف ذلك ، فقد كذب عليه وكذب ما جاء به^(٣).
- رابعاً :-** اعتقادهم بأن مؤسس التيجانية أفضل الأولياء ، فإنه يخالف الإجماع ، إذ لا تثبت الأفضلية الشرعية إلا بدليل شرعي ، ومن ادعى عكس ذلك فقد كذب على الله وخرق إجماع الأمة ، لأن الأمة قد أجمعت على أفضلية القرون الثلاثة الأولى ، كما شهد لها النبي المعصوم عليه الصلاة والسلام ، فاعتقاد أفضلية صاحب هذه الطريقة _ بدون دليل _ خرق لهذا الإجماع^(١) . وبالتالي موجب للتبديع والتضليل .
- خامساً :-** يرى الإمام ابن باديس أن المنتسب إلى طريقتهم لا يمتاز عن غير المنتسب إليها من المسلمين . وأن عقيدة الحساب والجزاء على الأعمال قطعية الثبوت ضرورية العلم فمن اعتقد أنه يدخل الجنة بغير حساب فقد كفر .
- ويختتم ابن باديس رده ، بقوله : ومن لم يصرح بهذا باء بوزره ووزر الهالكين من الجاهلين ، وكان عليه إثم الكاتمين من العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل^(٢).
- وهكذا يرد الإمام المصلح ابن باديس على المزاعم الباطلة لهذه الطريقة ، التي يقول عنها: "ليست كسائر الطرق في بدعها ، فهي طريقة موضوعة لهدم الإسلام تحت أسم الإسلام"^(٣) . وكان الهدف من ذلك هو تبين مدى المخالفات التي ارتكبتها في ممارستها للعبادات ،

(٣) - المصدر السابق ، ص ٣١٢، ٣١٣.

(١) - ابن باديس ، آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج٣، ص ٣١٣ .

(٢) - المصدر السابق ، ص ٣١٣-٣١٤.

(٣) - المصدر السابق ، ص ٣١٥-٣١٦.

(١) - ابن باديس ، آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج٣، ص ٣١٦.

(٢) - المصدر السابق، ص ٣١٩ .

(٣) - المصدر السابق ، ص ٣١٧.

بالإضافة إلى خطورة اعتقاداتها ، وبالتالي فإن الإمام يكفر أصحاب هذه الطريقة ويحرض عليها العلماء المسلمين في بلاد المغرب العربي .

(٣) - ابن باديس ومسألة العبادة عند الصوفية :-

تعتبر مسألة العبادة من المسائل التي دار حولها الجدل والنقاش بين الإمام المصلح ابن باديس ممثل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبين بعض الطرق الصوفية المنحرفة ، فهو لم يهدر جهداً من أجل إصلاح الأوضاع المتردية بالجزائر ، وكذلك يكشف للعامة - الناس - مدى الانحرافات التي وصلت إليها بعض الطرق الصوفية ، كما ذكرنا سابقاً. لذلك نجد له مقالاً قد نشره في مجلة "الشهاب" غرة رمضان ١٣٥١ هـ "بعنوان: أيهما أكمل العبادة مع رجاء الثواب وخوف العقاب ؟ أم العبادة دونهما ؟"^(٤).

وكان الغرض منه هو الرد على المتصوفين القائلين بأن عبادتهم هي الأكمل من عبادة غيرهم ؛ لتجردها عن طلب الثواب وخوف العقاب. كما أنه لم يتردد أن يبين للناس حقيقة العبادة المشروعة كما بينها القرآن وأوضحها السنة، فهما عنده من المصادر التي استسقى منها منهجه الإصلاحية. ويرجع إليهما عند التنازع في أمر من الأمور. يقول ابن باديس : " قد قال قوم : إن العبادة دون رجاء ثواب ولا خوف عقاب هي أكمل العبادات " !. وأنكرنا مقالتهم ... وقلنا في الإنكار عليهم: وزعموا أن كمال التعظيم لله ينافية أن تكون العبادة معها خوفاً من عقابه ، أو طمعاً في ثوابه ، وأخطأوا فيما زعموا "^(١) . لأن العبادة كما يرى شيخنا المصلح هي " غاية الذل والخضوع ، مع الشعور بغاية الضعف والافتقار ومن مقتضى الضعف أن يخاف ، ويوجل " أي أن يخاف العبد ربه "، ومن مقتضى الافتقار أن يرجو ويطمع " أي أن يرجو العبد ربه " "^(٢) . كما أن الإمام يرى أن العبادة المشروعة - أي في الدين - قد وضعت على خوف العقاب ، ورجاء الثواب ، لما في ذلك من إظهار غاية عبودية العبد بضعفه وافتقاره ، أمام ربه الغني الرحيم القوي المتين "^(٣).

وهذه العبادة المشروعة لها أدلتها من الكتاب والسنة وهو في ذلك يرد على مزاعم هؤلاء المتصوفة المنحرفين الذين يهدمون فكرة الخوف والرجاء التي ترتبط بالثواب والعقاب ، ويقولون: إن رجاء الثواب وخوف العقاب يناهيان الإخلاص في عبادة الله^(٤) . وهذا في نظر الإمام زعم باطل، لأنه كما يقول: " أن رجاء الثواب وخوف العقاب روحهما الإخلاص فكيف يناهيانه ؟ " "^(٥).

الأمر الذي دفعه إلى الرد عليهم بالأدلة القاطعة من خلال قوله: " والدليل على هذا ستمسعه من الكتاب والسنة... "^(٦) ، ومن هذه الأدلة التي ذكرها الإمام، نذكر منها بعض الآيات القرآنية والأحاديث التي تدعونا إلى العبادة الشرعية.

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ، تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ، فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قَرَّةٍ أَعْيَنَ جَزَاءُ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١) . ومنها قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا

(٤) - ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص ٢٠٢-٢١٦.

(١) - ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص ٢٠٢ .

(٢) - المصدر السابق، ص ٢٠٣ .

(٣) - المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٤) - عبد الحميد درويش ، ابن باديس وآراءه الفلسفية بين النظرية والتطبيق ، مطبعة جامعة القاهرة - مصر ، ١٩٩٥م ، ص ٢٥ .

(٥) - ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص ٥٢ .

(٦) - يقصد الإمام ابن باديس هنا : - بالشيخ المولود الحافظي ، الذي كتب مقال في جريدة البلاغ الجزائرية ، تظاهر فيه بالدفاع عن راني هؤلاء المتصوفة المنحرفين . راجع : - المصدر السابق ، ص ٢٠٢ ، ٢١٦ .

(١) - سورة السجدة ، الآيات : ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُجُنَاتِكَ فَقَبْنَا عَذَابَ النَّارِ^(١)، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾^(٢).

ومن الأحاديث نذكر منها الحديث الصحيح: "إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم! إني أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، ورغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت. واجعلهن من آخر كلامك. فإن مت من ليلتك مت وأنت على الفطرة"^(٣).

هذا بالإضافة إلى وجود أدلة أخرى سواء كان من الكتاب أو السنة^(٤)، أستند عليها الإمام المصلح ابن باديس، والتي حاول من خلالها إثبات إن العبادة الشرعية التي جاء بها الإسلام، قد وضعت على رجاء الثواب وخوف العقاب. وبالتالي فهو قد وصل إلى نتيجة لخصها بقوله: "قد بان بما ذكرنا توارد آيات الكتاب، وأحاديث السنة في صراحة وجلاء على مشروعية العبادة، مقرونة بالرغبة والرهبة، والرجاء والخوف. ولم نظفر بأية واحدة، أو حديث واحد، فيه التصريح بمشروعيتها مجردة منهما، فضلا عن أنها أكمل منها معهما. وما كنا لنترك أدلة الكتاب والسنة الصريحة لرأى أحد كائنا من كان"^(٥). وهذا رد صريح وقاطع من الإمام على أولئك المنحرفين من الصوفية، لأنه كما قال: "مشروعية الشيء لا تثبت إلا بدليل صحيح صريح"^(٦).

كذلك نجد الإمام ابن باديس يستمر على نهجه الإصلاحية في نقده لصوفية عصره المنحرفين، "الذين يدعون لأنفسهم الشفاعة باعتبارها جزءاً مما ورثوه عن النبي ﷺ" فكانوا يقطعون على أتباعهم الوعود، ويمنونهم بأن الله تعالى سيغفر لهم ذنوبهم من أجلهم وسيدخلهم الجنة ببركتهم"^(٧). وهذا في نظره "لا يجوز"^(٨)، لأن الدعاء يجب أن يكون لله وحده، يقول الإمام: "الدعاء لغير الله ضلال ودعاء غيره معه شرك"^(٩). كما أنه يؤكد في أكثر من موضع في تفسيره بأن الدعاء في ذاته عبادة، وأن العبادة لا تكون إلا لله وحده.

والحق أن الإمام كان يهدف من وراء نقده إلى إصلاح الأوضاع الطرقية، التي انتشرت فيها مثل هذه المظاهر البدعية في الجزائر وخارجها. فيقول: "فأنظر إلى حالتنا معشر المسلمين الجزائريين وغير الجزائريين، تجد السواد الأعظم من عامتنا غارقاً في هذا الضلال: فتراهم يدعون من يعتقدون فيهم الإصلاح من الأحياء والأموات، يسألونهم حوائجهم من دفع الضر، وجلب النفع، وتيسير الرزق، وإعطاء النسل، وإنزال الغيث، وغير ذلك مما يسألون. ويذهبون إلى الأضرحة التي شيدت عليها القباب، أو ظلمت بها المساجد فيدعون من فيها، ويدقون قبورهم، وينذرون لهم، ويشترون حميتهم، بأنهم خدامهم وأتباعهم، فكيف يتركونهم؟ وقد يهدونهم بقطع الزيارة، وحبساً للزور. وتراهم هنالك في ذل وخشوع وتوجه، قد لا يكون في صلاة من يصلي منهم!! فأعمالهم هذه من دعائهم وتوجههم كلها عبادة لأولئك المدعين، وإن لم يعتقدوها عبادة؟ إذا العبرة باعتبار الشرع، لا اعتبارهم"^(١٠). ومن ثم فإن الإمام يتأسف على الحال الذي وصل إليها العامة من الناس في الجزائر خاصة، فيقول: "فيا حسرتنا على أنفسنا كيف لبسنا الدين لباساً مقلوباً، حتى أصبحنا في هذه الحالة السيئة من الضلال"^(١١).

(١)- سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٢)- سورة الفرقان، الآية: ٦٥.

(٣)- أنظر: -صحيح مسلم، اعتنى به محمد بن عيسى بن عبد الحليم، مكتبة الصفا - القاهرة، ج٢، ٢٠٠٤ م، ص ٦٩٤. حديث رقم ٥٦، كتاب الذكر. - والمزيد راجع: - ابن باديس، تفسير ابن باديس، ص ٢٠٦، ٢٠٨.

(٤)- والمزيد من الإطلاع على هذه الأدلة وغيرها. أنظر: - ابن باديس، تفسير ابن باديس، ص ٢٠٣، ٢٠٩.

(٥)- المصدر السابق، ص ٢٠٨.

(٦)- المصدر السابق، ص ٢١٦.

(٧)- ابن باديس، تفسير ابن باديس، ص ١١٦-١٢٠.

(٨)- المصدر السابق، ص ١١٨.

(٩)- لقد وضع الإمام مقال في مجلة الشهاب بعنوان: الدعاء منه عادة ومنه عبادة، وكان قد رد فيه على مزاعم بعض الطرق الصوفية المنحرفة. راجع: - ابن باديس، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج٢، ص ٢٥٠، ٢٥٥. وأنظر: - ابن باديس، تفسير ابن باديس، ص ١١٦-١٢٠.

(١٠)- ابن باديس، تفسير ابن باديس، ص ١١٩.

(١١)- المصدر السابق، ص ١١٩.

وكان الأمام دائماً يستند في منهجه الإصلاحية إلى الأدلة القاطعة ، من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح ، في الرد على مزاعم أصحاب الطرق الصوفية الضالة الأمر الذي دفعه إلى التنبيه والتحذير من خطورة المظاهر البدعية "كظاهرة التوسل بالأولياء وزيارة قبورهم وتقديم النذور لها" ، في كثير من مواضع تفسيره وخاصة على عقيدة التوحيد على غرار قوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾^(١) . وغيرها من الأدلة التي اعتمد عليها الإمام^(٢).

والواقع أن انتشار الظواهر السلبية في الجزائر ، يرجع إلى إيمان الناس واعتقادهم في الولاية وكرامات الأولياء وخوارقهم التي فاقت أحياناً في نظر بعضهم معجزات الرسل أنفسهم ، بل وصل الحال ببعض هؤلاء إلى القول بأن الأولياء أفضل من الأنبياء ، وأن من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وحلت له المحرمات كلها^(٣) . إذن فالدعاء لغير الله هو شرك خفي ، ولهذا فقد نبه على أن "من دعا غير الله فقد عبده ومن دعا مخلوقاً مع الخالق ، فقد أشرك"^(٤) ، ومن هذه الأدعية المنتشرة بين الناس وأكثرها استعمالاً ، يقول عنها: "ما أكثر ما تسمع في دعاء الناس" يارب والشيخ ، "يارب وناس ربي" ، "يارب والناس الملاح"^(٥) .

ثم بعد ذلك يذهب إلى التحذير من هذه الأدعية البدعية ، فيقول: "فياك أيها المسلم وإياه ، وادع الله ربك وخالقك وحده وحده ، وأنف الشرك راغم"^(٦) . كما أنه يذهب في موضع آخر ويؤكد على عدم التعلق بهذه الأدعية ، فإذا دعوت فادع ربك ولا تدع معه أحداً"^(٧) .

٤ - ابن باديس ومسألة الذكر ومجالسه :-

يستمر الإمام المصلح ابن باديس على نهج الإصلاحيين السابقين مثل الإمام محمد عبده^(١) . فيذهب في هذه المسألة ، إلى توضيح أن كل ما يرددونه الطرقية من أذكار وأوراد ، فهي من صنعهم ، ولم يثبت عن النبي ﷺ "إلا قليلاً"^(٢) . وكذلك يستنكر شيخنا مسلكتهم في الذكر بأصوات عالية ، وبصورة لا تليق بمجالسهم ، فيقول: "لنشاهد أكبر مهزلة يبرأ منها الإسلام صياح وعويل من الدار ، وأذان وتكبير ، وصلاة على النبي ﷺ" وسورة البقرة ويس وتبارك ، وجمهرة وتخريج وأحزاب قارية ومدائح عيساوية وطيبية ، وشاذلية وتيجانية"^(٣) .

يحذر الإمام المصلح ابن باديس العامة من هذه المظاهر البدعية ، لأن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد بل استمر إلى ما هو أبعد من ذلك ، حيث أصبحوا يمارسون أعمالاً تقترب من الدجل والشعوذة مثل أكل الحيات والأفاعي وشظايا الزجاج والذهب ووخر البدن بإبر من الحديد المحمي ، بل أن بعض مشايخ الصوفية لم يتورع عن إدخال صنوف من المخدرات والمسكرات

(١) - سورة الإسراء، الآية: ٥٦ .

(٢) - للمزيد من الإطلاع على هذه الأدلة . أنظر: - ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص ١١٦-١٢٠ .

(٣) - عبد الكريم أبو صصاف ، حركة محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس .. ج ١ ، ص ٧٥ .

(٤) - ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص ٣٦٤ .

(٥) - ابن باديس ، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، ج ١ ، ص ٣٠٠ .

(٦) - ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص ٢٢٢ .

(٧) - المصدر السابق ، ص ٣٦٤ .

(١) - يقول السيد رشيد رضا عن الإمام محمد عبده ، بأنه قد أخذ على صوفية عصره ، بأنهم كانوا يجتمعون للذكر ، ويتخذون الطبول آلة لهم وبعضها كان شكله مستطيلاً والبعض الآخر كان شكله دائرياً وكلها كانت تصدر أصوات عالية ، أشبه بصوت المدفع ، بشكل يصم الأذان فإذا ما قاموا للذكر ارتفعت أصواتهم مع أصوات الطبول ، وأتوا بالفاظ لا مدلول لها . وكان من عاداتهم الإتيان بمثل هذه العادة في مسجد الإمام الحسين ، وفي مولده . أنظر: - رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ، ج ٢ ، ص ١٣٤-١٣٥ .

(٢) - ابن باديس حياته وأثره ، ج ٢ ، ص ٣٨١ .

(٣) - ابن باديس حياته وأثره ، ج ١ ، ص ٩٧ . وأنظر: - أحمد الجزار ، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف ، ص ١٠٠ .

إلى حلقات الذكر زاعمين أنها تقرب الحاضرين من النشوة وتسرع بهم إلى الوجد والشطح والفناء^(٤). وكل هذه المظاهر البدعية - في نظر الإمام ابن باديس - اختراعات فاسدة ، لأنها من صنع شيوخهم .

الأمر الذي دفعه إلى كتابة مقال بعنوان : أفضل الأذكار^(٥) . وكان الغرض منه ، هو توضيح أن ما يدعونه من أن الذكر هو أفضل العبادات وأخطرهما . إنما هو وهم وخيال ومخالفة للقرآن والسنة ومخالفاً للمأثور عن الصحابة والتابعين . هذا وقد حاول ابن باديس إصلاح مجالس الذكر عند الصوفية المنحرفين ، وذلك بتأكيده لهم أن القرآن أفضل الأذكار ؛ لأنه ذكر قلبي ولساني وعملي . ثم يوضح الإمام ذلك على النحو التالي :—

فهو الذكر القلبي: فتالي القرآن المتدبر لآياته ، يكون متفكراً في مخلوقات الله وما فيها من حكم ومن نعم ، وفي معاني أسمائه وصفاته ، وفي مظاهر رحمته وإحسانه وبطشه وانتقامه ، وفي أسباب ثوابه وعقابه ، وفي مواقع رضاه وسخطه . كما يكون أيضاً متبصراً في عقائده ، خبيراً بأدلتها ، ورد الشبه عنها . كما يكون أيضاً مستحضراً لربه في قلبه باستحضار حقوقه ونعمه وآلائه ؛ إذ هذا كله مما تضمنته أي القرآن علي أكمل بيان ، وأوضح برهان ."

هو ذكر اللسان أيضاً : لأنه قد أشتمل علي أفضل الأذكار اللسانية :— من تهليل ، وتكبير ، وتحميد ، وتسبيح ، وتمجيد ، واستغفار ، ودعاء ، وعلي الأسماء الحسني، والصفات العلى للرب تبارك وتعالى؛ فتالية يكون ذاكرة بهذه الأذكار كلها.

وهو ذكر عملي : لان تلاوته بالتدبر تثمر للتالي التوبة والإنابة والرجاء والخوف، وذلك كله مما يكون له خير داع إلي الاستقامة في سلوك الإنسان العملي، بالإضافة إلي ما في القرآن من علم مصالح العباد في المعاش والمعاد، وبسط أسباب الخير والشر والسعادة والشقاوة في الدنيا والآخرة^(٦). ومن الأذكار الشرعية عند ابن باديس الصلاة علي النبي ﷺ، فهي من أصول الأذكار في الإسلام وأعظمها ، وقد أمرنا الله تعالى بالصلاة عليه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾^(٧). وقد جعلها الله من الأذكار اليومية المتكررة في الصلوات ، وهي ذكر لسانی بتلاوة لفظها، وقلبي بتدبر معانيها مثمرة لرسوخ الإيمان وشدة المحبة للرسول ﷺ، مما يحصل محبة الله عبده ، وتلك غاية سعادة الإنسان ونهاية كماله^(٨). لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٩).

وقد نبه الإمام إلي أنه لا صحة لقول من "زعموا أن الصلاة علي النبي ﷺ" خير للعامة من تلاوة القرآن ، بحجة أن الصلاة ثوابها محقق ، ولا يلحق فاعلها إثم بعكس القرآن، الذي يؤثم مخالفه ، وهو زعم باطل ، ذلك أن للصلاة منزلتها وفضلها، وللقرآن منزلته وفضله . فليأت ذاكر من الصلاة ومن غيرها من أبواب الذكر بما لا يؤدي إلي ترك الصلاة ومن غيرها من أبواب الذكر بما لا يؤدي إلي ترك أو تقليل تلاوة القرآن ، الذي هو أفضل الأذكار علي الإطلاق^(١٠) . والحق إن الإمام ابن باديس " لا يعيب علي الصوفية اشتغالهم بالذكر، بما هو ذكر، إذ العبد مأمور بذكر الله ، ولكنه يعيب عليهم اشتغالهم بالذكر بصيغ من صنعهم ، مما يخالف الأذكار الشرعية ، وهي عنده تستقي من القرآن أولاً ، فقد احتوى علي أفضل الأذكار، هذا إلي جانب أنه

(٤) - عبد الكريم أبو صفصاف ، حركة محمد عبده وعبد الحميد بن باديس ... ، ج١ ، ص ٧٠٢ .

(٥) - لقد أوضح الإمام ابن باديس من خلال هذا المقال ، مفهوم الذكر وأقسامه العلمية والعملية ، للمزيد من الإطلاع . انظر:- ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص ٢٨ - ٣٩ .

(٦) - ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص ٣٢ .

(٧) - سورة الأحزاب ، الآية : ٥٦ .

(٨) - انظر:- ابن باديس حياته وآثاره ، ج٤ ، ص ٣٧٥ .

(٩) - سورة آل عمران ، الآية : ٣١ .

(١٠) - ابن باديس حياته وآثاره ، ج١ ، ص ١٤٥ . وإبراهيم عبد الله معمر، منهج التجديد في الفكر الإسلامي بين ابن باديس وابن عاشور ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

الذكر الحقيقي , وما ورد عن النبي من الأذكار ينبغي أن تكون أذكار الأخذيين بسنته قولاً وعملاً" (١)

وهكذا يمكن القول إن الغرض الأساسي الذي سعى إليه الإمام من خلال هذا المقال هو أن يبين لأدعياء التصوف ، أن معنى الذكر هو أوسع مما يتخيلون لأن بعض من يعدونهم من العباد في غير الذاكرين هم في عرف الشرع من الذاكرين ، كما أن اعتمادهم على السبح دون الطاعة هو غرور في غرور ، لأنهم في عرف الشرع من الغافلين رغم أنهم يعدون أنفسهم أو يعدهم الناس من الذاكرين إذ العبرة كما يقول : " إنما تكون باعتبار الشرع لا باعتبارهم " (٢). وينتهي الإمام من خلال هذا المقال بنتيجة لخصها بقوله : "لهذه الأدلة الأثرية والنظرية ... وغيرها ذهب أئمة السلف والخلف إلى أن قراءة القرآن أفضل من الذكر..." (٣).

٥- ابن باديس ومسألة الزهد:-

لقد ذهب الإمام إلى أن الزهد ليس هو ترك الدنيا ، أي ممارسة أشياء بعيدة عن الزهد الحقيقي كالدعوة إلى الجوع أو الصوم المستمر الذي يؤدي إلى أضعاف البدن ، وهم في ذلك يحرمون على أنفسهم من الطيبات أحلها الله . هذا بالإضافة إلى عزوفهم عن الزواج تفرغاً للعبادة التي يزعمون أنها الأكمل ، وزاد بعضهم على ذلك أيضاً الانقطاع للخلوات وهم في هذا كله قد خالفوا نصوص الشرع قرآناً وسنة (١). الأمر الذي دفع بالإمام إلى نقدهم والتصدي لمثل هذه الأمور البدعية التي أدخلوها في الدين . لأن الدين الإسلامي لم يدع إلى مثل هذه الأشياء ، كعدم تمتع الإنسان بالطيبات التي أحلها الله له .

وهو في ذلك يعتمد على الأدلة القاطعة في الرد على هؤلاء المتصوفة المنحرفين . ومن هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٢). ثم يستمر شيخنا في توضيح معنى الطيب ، فيقول: "هو ما صلح واعتدل في نفسه ، وسلم من كل ما يفسده ويخرجه عن اعتداله وأصل خلقته ، فكان مستلذاً للنفوس... فالطيب هو اللذيذ لذة حسية أو عقلية "الحلال" ، ويقابله الخبيث وهو المستنذر حساً أو عقلاً "الحرام" ، وعلى هذا جاء قوله تعالى: ﴿وَجِلَّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (٣). فما أحل الله ألا الطيب المستنذر ، وما حرم إلا الخبيث المستنذر" (٤).

إذاً فإن شيخنا يؤكد أن الزهد الحقيقي لا يدعوا إلى تجويع البدن ، حيث يقول : " فكانت المحافظة على الأبدان من الواجبات ، ولهذا قدم - الله تعالى - الأمر بالأكل على الأمر بالعمل" (٥).

يقول الإمام : " ليس من الإسلام تحريم الطيبات التي أحلها الله كما حرم غلاة المتصوفة اللحم . وليس من الإسلام تضعيف الأبدان وتعذيبها كما يفعله متصوفة الهنود ، ومن قلدتهم من المنتسبين للإسلام " (٦).

كما أن الإمام يؤكد أن الصوفية المنحرفين قد اخطأوا في إعراضهم عن الزواج بزعم كمال العبادة لله تعالى ، حيث يقول: " وقد رأى قوم من الزهاد "المتصوفة" رجحان الانقطاع إلى العبادة على التزوج والاستغال بالسعي على الزواج والذرية ، فرد عليهم أئمة الدين والفتوى بأن التزوج إتباعاً لسنته ، وفي السعي على الأهل ما هو من أعظم العبادة " (٧). ثم يقول: "وفي

(١)- أحمد الجزار ، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف ، ص ٩٩ .

(٢)- ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص ١١٩ .

(٣)- المصدر السابق، ص ٣٢ .

(٤)- أحمد الجزار ، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف ، ص ٨٨ .

(٥)- سورة المؤمنین ، الآية: ٥١ .

(٦)- سورة الأعراف ، الآية: ١٥٧ .

(٧)- ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص ٣٥٣ .

(٨)- المصدر السابق، ص ٣٥٥ .

(٩)- المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٠)- ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص ٢٢٧ .

التزوج تكثير سواد الأمة والمدافعين عن الملة والقائمين بمصالح الدين والدنيا، وفي هذا ما فيه من الأجر والثوبة" (٢).

إذا فالتزوج كما يقول - الإمام - هو السنة: سنة النبي ﷺ وسنة أصحابه عليهم الرضوان ، وسنة عباد الرحمن ، وليس من شريعته الحنفية السمحة؛ الرهبانية والتبتل" (٣). لأن التبتل "فيه مخالفة للسنة ، وانقطاع النسل وضعف الأمة وتعطيل المصالح ، وخراب العمران" (٤).

وبصورة عامة ، يمكننا القول بأن أدعياء الزهد والتصوف الذين عارضهم الإمام فقد بالغوا في الزهد وهجروا الدنيا والعمل ، وابتعدوا عن الحياة والناس وأصبح الزهد عندهم غاية ، وهؤلاء عارضهم الإمام وبيّن لهم حقيقة الزهد . فقال : صحيح إن حقيقة الدنيا وراء قشورها الظاهرة ولكن ليس معنى ذلك أن يستهين المتصوفة بعظمة الدنيا وأن تهون عليه رهبتها ورغبتها فليس ذلك من الزهد أو التصوف ، وأزهد من الصوفي الذي لا يملك الدنيا ذلك الصوفي الذي لا تملكه الدنيا ولا يدخله الوجل ممن يملكونها" (٥).

رابعاً :- التصوف المشروع عند الإمام ابن باديس :-

بعد أن عرفنا موقف الإمام ابن باديس من هذه الأوضاع البدعية التي أدخلتها الطرق الصوفية أو ما يسمهم "الطرقية" في الدين . يمكننا أن نطرح تساؤلاً -- ما هو التصوف المشروع عند الإمام ابن باديس ؟

من خلال عرضنا لما سبق ذكره فإننا يمكن القول بأن الإمام المصلح لم ينكر التصوف الحقيقي السني المبني على قواعد العلم والتقوى ، وإنما ينكر البدع والخرافات والشعوذة التي يمارسها الكثير من رجال الطرق الصوفية ، الذين انحرفوا عن الطريق الحقيقي للتصوف ، وتحولوا من العلم إلى الخرافة ، ومن الولاية إلى الشعوذة -- وظهر أشخاص يدعون دعوات ضالة مضرة بالمصلحة العامة (٦).

الأمر الذي دفع بالإمام إلى كتابة مقال سنة ١٩٢٧م بعنوان : "حزب الإصلاح" (١) لا ينكر التصوف الحقيقي" ، فقد ذكر فيه " أن رجال التصوف الأقدمين كانوا يمتازون بالقدرة على العلم والعمل والتقوى والفضيلة ، ولكن أقواماً من حثالة المجتمع اندسوا في أهل التصوف وهم أبعد الناس عنهم" (٢).

إذا فالإمام لا ينكر التصوف المشروع الذي لا يخرج عن الكتاب والسنة ، حيث يقول أحد الباحثين : إن التصوف الذي يقبله ابن باديس لا يخرج في جملته ولا في تفصيله عن كمال العبادة لله ظاهراً وباطناً من ناحية ، ولا على التخلي عن الرذائل والتخلي بالفضائل الأخلاقية من ناحية أخرى. ويتحقق هذا كله حين يكون التصوف عاملاً أساسياً في تزكية النفس وتقويم الأخلاق ، ففي هذه الحالة يكون هو التصوف المقبول (٣). وهذا ما أكدّه ابن باديس بنفسه عندما قال : " فالتصوف المقبول هو ما كان من باب تزكية النفس وتقويم الأخلاق والتحقيق بالعبادة والإخلاص" (٤). ولكون كلام أئمتّه فيه ككلام سائر أئمة الإسلام في علوم الإسلام على حد قوله .

إذا فالإمام يرتضي التصوف في جانبه الخلفي، وهو ما كان عليه التصوف في أزهى فترة من فتراته وهي القرنين الثالث والرابع الهجريين (٥).

(٢)- المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣)- المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٤)- المصدر السابق ، ص ٢٣٨ .

(٥)- عبد الحميد درويش ، ابن باديس وأراؤه الفلسفية بين النظرية والتطبيق ، ص ٣٢ .

(٦)- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج ١ ، ص ٤٨٨ .

(١)- يقصد الإمام هنا بحزب الإصلاح "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" .

(٢)- أنظر :- عبد الكريم أبو صفصاف ، حركة محمد عبده وعبد الحميد بن باديس .. ، ج ١ ، ص ٦٩٦ .

(٣)- أحمد الجزار ، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف ، ص ١٣٥ .

(٤)- ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ج ٤ ، ص ٢٦١ .

(٥)- أحمد الجزار ، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف ، ص ١٣٦ .

وبصوره عامة، يمكننا أن نلخص رأى الإمام في التصوف المشروع، بأن التصوف المقبول ينبغي أن يتقيد بمنطق القرآن الكريم والسنة، ففي القرآن أقوم طريق تهذيب أخلاق النفس هو ما بينه الله تعالى لعباده في القرآن. وبالتالي فطريق السلوك الشرعي عند الإمام يكون في إتباع كتاب الله. وقد فهم هذا كله من تفقهه في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١). وغيرها من الآيات التي استند إليها الإمام. كما أن الإمام يشير إلى هذه الحقيقة بقوله: "... فإذا أردت أن ترقى في درجات الكمال وتظفر بأنواع الإنعام وتركي نفسك الزكاة التام فعليك بهدي هذا الفرقان، فهو بساط القدس ومعراج الكمال ومائدة الإكرام" (٢).

إذا فكتاب الله فيه البيان الكافي والدواء الشافي لأمراض النفس الخلقية وفيه وسائل تزكيتها وطهارتها، بما يحقق لها الاستقامة في العبادة والخلق، وبما يضمنه لها من الفوز بالسعادتين الدنيوية والأخروية (٣).

كذلك فإن الإمام يؤكد على أن المؤمن يجب عليه الإقتداء بسلوك الأنبياء والمرسلين. فيقول: "فأقبل روحك بالتزكية والتطهير والترقية والتكامل ولا سبيل إلا بالإقتداء بهم" أي بالأنبياء والرسل، والاهتداء بهديهم. فهم المثل الأعلى في كمال الخلق وبالتالي فلا بد من أراد أن يبلغ شيئاً من كمالهم في العبادة والخلق من أن يحقق ذلك باتباعهم كاملاً (٤).

ولما كان الأنبياء هم المثل الأعلى في الكمالين الروحي والخلقي، وكان النبي ﷺ هو خاتم النبيين، فقد حق الاتباع كاملاً له في هديه والعمل بسنته. حيث يقول الإمام: "بأن حياة محمد ﷺ هي الجامعة لمحاسن الإسلام والغاية لكل كمال" (٥).

يذهب الإمام إلى أن التصوف ينبغي ألا يكون من شأنه إهمال الحياة الدنيوية بكليتها، فذلك مالا يتفق ووسيلة الإسلام إذ الوسط العدل هو تحقيق الكمال في الحياتين معاً "الروحية والمادية".

والتصوف المنحرف — في نظره — أدى إلى اختلال الموازنة التي أقامها الإسلام بين الجسم والروح. وإن هذا التوازن من السمات البارزة في النظام التربوي الروحي الإسلامي، والذي حرص رسول ﷺ أن يغرسه في أصحابه، وأن ينبههم إليه في مناسبات عديدة بالقول والفعل. فقد كان عليه الصلاة والسلام يأخذهم بالتربية الشاملة المتكاملة التي تجعل منهم رهبانا بالليل، فرسانا بالنهار. وكان يعلمهم أن التقرب إلى الله بالعبادات والنوافل لتزكية النفس وتطهيرها من المعاصي ونوازع السوء لا يعني اعتزال الدنيا والهروب من معتك الحياة.

فقد كان حريصاً على أن يمنع كل محاولة للغلو، والخروج عن إطار هذا الاتزان التربوي الذي رسمه، وهذا ما نلمحه بوضوح في موقفه المنكر للمحاولات التي قام بها بعض المسلمين، والذين غالوا في تناولهم لتعاليم وتوجيهات الإسلام حينما قرروا التفرغ الكامل للعبادة، والزهد في الدنيا والاعتكاف عن ضروب الجهاد كل أيام عمرهم. فحين علم أن رجلاً صام النهار ولم يقطر الليل، قال له عليه الصلاة والسلام: "من أمرك أن تعذب نفسك؟ ثلاث مرات" (٦). وعندما بلغه أيضاً أن رجلاً يصل ليله ونهاره بالصوم، وينفق أيامه عابداً متبتلاً حتى أهمل أمر نفسه وأهله، أنكر عليه هذا السلوك بشدة، وقال له: "هلك المتطعون، أن لبدنك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً" (٧).

لذلك أنكر ابن باديس علي غلاة الصوفية الذين انتحلوا وظيفة التربية، تحريفهم للمعنى الحقيقي للحياة الروحية التي أرادها الإسلام لاتباعه. فبدلاً من أن يوجهوا مريدتهم إلى السعي الجاد والسير في مناكب الأرض في إطار القيم الروحية الإسلامية التي تنظم علاقاتهم بالناس

(٦)- سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(١)- ابن باديس، آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج١، ص ٢٢٧. وأنظر:- أحمد الجزار، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف، ص ١٣٨.

(٢)- أحمد الجزار، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف، ص ١٣٨.

(٣)- ابن باديس، آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج١، ص ٢٤٠.

(٤)- المصدر السابق، ج٢، ص ٣٠٩.

(٥)- الإمام أحمد ابن حنبل، مسند أحمد، المكتب الإسلامي - بيروت، ج٥، ط٢، ١٩٨١م، ص ٢٨.

(٦)- رواه مسلم في صحيحه، ج٢، ص ٦٧٥. "باب هلك المتطعون"، كتاب العلم، حديث رقم: ٢٦٧٠.

والكون ، فيحققوا التوازن المطلوب . عزلوهم عن ذلك . وجنوحهم إلى التواكل ، وصرفوهم عن العلم ، وتعطيلهم لكثير من طاقات الإنسان في الكسب . يقول ابن باديس في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مَثَلٌ تَذِيرٌ مُبِينٌ﴾^(٣)، "ليس المقصود بالفرار من الدنيا ترك السعي والعمل، وتعاطي الأسباب المشروعة لتحصيل القوت ، ورغد العيش ، وتوسيع العمران ، وتشبيد المدينة . بل المقصود الفرار من شرورها وفتنها... وقد ضل قوم فزعوا ذلك طاعة وعبادة ، فعملوا الأسباب وخالفوا الشريعة ، وحادوا عما ثبت من السنة..."^(٤)

إذا يري ابن باديس لابد من الجمع بين الحياتين حيث لا يمكن أن نهمل جانب على حساب الآخر . مع الأفضلية عند الإمام للحياة الروحية ولكن لابد من الجمع بينهما يقول: "...إذا لم يخلق الإنسان للأرض، وإن خلق منها وإنما خلق للسماء والملا الأعلى، فالجسد آلة بديعة للروح، لأزمة لها في الدنيا وملزمة لها في الآخرة"^(٥)

كما أنه يذهب في موضع آخر ، ويؤكد فيه : "أنه يجب أن يعطى البدن حقه كما يعطى الروح حقه : أيضا ، وكما أن الروح تكمل بما ينيرها من العلوم والمعارف وما يزكّيها من الأخلاق ... فكذلك البدن يلزمه حقه ، بما ينمه ويصلحه ، ويقويه ويحفظه من كل ما يفسده أو ينهكه أو يؤذيه"^(٦)

إذا فيجب على الصوفي أن يتقيد بتلك الحدود التي أقرها الشرع والتي ذكرها الإمام حتى لا يخرج عن حدود الشرع قرآنا وسنة . لأن عليه ألا يرى تعاضدا بين حياته التعبدية ، وحياة المجتمع الذي يعيش فيه.

خلاصة القول : إن الإمام ابن باديس لم يرفض التصوف في حد ذاته ، وإنما رفض رفضا قاطعا التصوف المنحرف عن منهج القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح ، وممارسته للابتداع والانحرافات ، وسقوطه في متهاتات الكفر والإلحاد . وكانت كل جهوده في هذا المجال _ كما تقدم _ منصبة على محاربة الطرق الصوفية الضالة، وإصلاحها .

ويري الباحث أن الإمام كان محقا في حملته ضد الطرق الصوفية الضالة ، التي تعتبر بحق أنها تعيق الإصلاح والتقدم ، وعلى أوجه التحديد فترة الاحتلال الفرنسي ، إذ أنها مثلت ظاهرة الركود إلى مهانة الاستعمار واللجوء إلى التواكل وليس التوكل على الله وحشر الناس في حلقات الذكر دون العمل وشغلهم في قضايا الحلول والاتحاد دون العمل الدنيوي ، بمعنى آخر نسوا قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ تَصِييبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾^(٧) . وهم بعملهم هذا يعينون الاستعمار الفرنسي بجعل الناس يركنون إلى بعض الأقاويل السائدة آنذاك "كن عبد الله المغلوب لا عبد الله الغالب" ، وكان الاستعمار يشجع ذلك لأصرف الناس عن المواجهة في حين أن دعوة ابن باديس كانت تحت الناس على الجهاد .

وإذا كان لنا من كلمة نختم بها حديثنا عن جهود ابن باديس في هذا المجال ، نختمه بشهادة رجلين فاضلين هما: المفكر الجزائري مالك بن نبي والشاعر الجزائري محمد سعيد الزاهري . لتعرف من خلالهما على الأثر الذي تركته دعوة ابن باديس الإصلاحية في نفوس الجزائريين، فأما مالك بن نبي فذهب إلى القول: "أن الشيخ عبد الحميد ابن باديس قد قام بتنقية الثقافة الإسلامية من تلك المقدسات الوهمية التي تسمى "تقاليد" وأستطاع أن يخلص الجزائر من تلك التقاليد الزائفة التي كانت تتجسد في الطريقة "المرابطية"^(٨) . أما الشاعر الجزائري محمد سعيد الزاهري الذي تتلمذ على يد الإمام ابن باديس . فيقول : " كنت قبل صحبتي لهذا الأستاذ الإمام ولو عابا بباطيل الخرافيين من الطرقيين ، راسخ اليقين في الإيمان بطواغيت الدجالين ، ولقد أصبحت والحمد لله ، حر الضمير والعقيدة والفكر ، راسخ اليقين في أن الإصلاح هو ما جاء به محمد ﷺ" ، لا التصوف ، أو ما يدعيه الصوفيون أو المتصوفون"^(٩) .

(٣) - سورة الذاريات ، الآية : ٥٠ .

(٤) - ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص ٣٦٢ .

(٥) - ابن باديس ، آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس ، ج١ ، ص ١٣٨ .

(٦) - المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٧٧ - ١٧٨ ، وانظر : أحمد الجزار ، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف ، ص ١٤٠ - ١٤٣ .

(٧) - سورة القصص ، الآية : ٧٧ .

(٨) - ملك بن نبي ، وجهة العلم الإسلامي ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر - دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م ، ص ٣٧ .

(٩) - انظر : حسن عبد الرحمن ، عبد الحميد ابن باديس مفسرا ، رسالة ماجستير _ جامعة عين شمس ، ١٩٧٩ م ، ص ٢٠٦ .

الخاتمة

من خلال عرضنا لموقف ابن باديس الإصلاحى من الطرق الصوفية الضالة، يمكن لنا القول :

١- أن الإمام ابن باديس قد إدراك أن الطرق الصوفية الضالة كانت سبباً في تضليل المسلمين في الدين والدنيا، فمقاومتها هي مقاومة لكل شر والقضاء عليها قضاء علي كل باطل.

٢- يرى الإمام أنه لا يتم في الجزائر إصلاح في أي فرع من فروع الحياة مع وجود هؤلاء المنحرفين.

٣- عمل الإمام علي تطهير الدين من البدع والانحرافات التي أدخلتها هذه الطرق، وقد تم له ذلك.

٤- نجح ابن باديس في تصحيح المفاهيم الإسلامية بالعودة إلى الكتاب والسنة، بعد ما نشرت الطريقة معاني تتنافى تماماً مع مبادئ الإسلام السامية مثل الاجتهاد والعمل والشجاعة والتوكل، وأحلت محلها معاني الكسل والخمول والقعود عن الجهاد والتوكل التي كانت سائدة بين طوائف الشعب الجزائري.

٥- تمكن الإمام من كشف هؤلاء المتصوفة المنحرفين للعامة، وإظهارهم بمظهر الخيانة، ولم يعودوا ذات نفع حتى للحكومة الفرنسية بالجزائر، بل غدوا عبئاً عليها. ٦- ميز الإمام جيداً بين التصوف المشروع المتقيد بالكتاب والسنة، وبين التصوف الخادع الذي يعتبره من أهم معوقات الإصلاح، لذلك نجده دائماً يفرق بينهما. فالتصوف كما يرى الإمام، هو الذي يجب أن يقوم علي أصول ثابتة وواضحة من الكتاب والسنة.

٧- يرى الإمام أن التصوف يجب أن يكون أسلوباً للحياة وأداة لبناء الإنسان المسلم. ولتحقيق سعادته الدنيوية والروحية معاً. فقد كان اتجاه الإمام صوفياً سنياً معتدلاً من ناحية، ومجدداً من ناحية أخرى.

٨- أظهر ابن باديس أهمية التمسك بالوسطية التي جاء بها الإسلام، وعمل علي تحقيقها في الحياتين الروحية والمادية.

٩- كشف ابن باديس أن المدعين للتصوف خطر علي الأمة الجزائرية بل وعلي الإسلام عموماً بما ينشرون من بدع وفلسفات بعيدة عن ظاهر الشرع وتعوق المسلمين عن النهوض والتقدم والعمل الجاد وتخدم مصالح الاستعمار.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم :-

المصحف الشريف بروية حفص عن عاصم، دار التراث للطباعة _ طنطا.

ثانياً: المصادر والمراجع :-

١- إبراهيم "عبد الله عبد الرزاق"، أضوء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، مكتبة مدبولي- القاهرة، ١٩٨٩م.

٢- إبراهيمي "الشيخ محمد البشير"، آثاره، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي _ بيروت، ١٩٩٧م.

٣- ابن باديس "الشيخ عبد الحميد"، ابن باديس حياته وآثاره، أربعة أجزاء، إعداد الدكتور: عمار طالبي، دار اليقظة العربية للتأليف _ الجزائر، ١٩٨٦م.

٤- ابن باديس "الشيخ عبد الحميد"، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين ومحمد الصالح رمضان، دار الكتب العلمية _ بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م.

٥- ابن باديس "الشيخ عبد الحميد"، آثار الإمام ابن باديس، ستة أجزاء، وزارة الشؤون الدينية _ الجزائر، ٢٠٠٥م.

٦- أبو صفصاف "ن- عبد الكريم"، حركة محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس وأبعادها الثقافية والاجتماعية والسياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب _ مصر، ٢٠٠٧م.

٧- برادة "علي حراز بن العربي"، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، دار الجيل _ بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

- ٨- بلاسي "د- نبيل أحمد"، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ٢٠٠٦م.
- ٩- بن نبي "مالك"، من أجل التغيير، دار الفكر - دمشق، ط٥، ٢٠٠٦م.
- ١٠- بن نبي "مالك"، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر - دمشق، ط٦، ٢٠٠٦م.
- ١١- النفاذاني "د- أبو الوفاء"، الطرق الصوفية في مصر، مطبعة الأمانة - القاهرة، ١٩٩١م.
- ١٢- الجزار "د- أحمد محمود"، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف، منشأة المعارف - الإسكندرية، ١٩٩٩م.
- ١٣- الجيلاني "عبد الرحمن"، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة - بيروت، ج٣، ١٩٨٣م.
- ١٤- حلمي "د- محمد مصطفى"، الحياة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للتأليف - القاهرة، ١٩٧٠م.
- ١٥- دبوز "محمد علي"، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة العربية - الجزائر، ١٩٧١م.
- ١٦- درويش "د- عبد الحميد"، عبد الحميد ابن باديس وأراؤه الفلسفية بين النظرية والتطبيق، مطبعة جامعة القاهرة - مصر، ١٩٩٥م.
- ١٧- دسوقي "د- ناهد إبراهيم"، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشأة المعارف - الإسكندرية، ٢٠٠١م.
- ١٨- رابح "د- تركي"، الإمام عبد الحميد ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، رسالة ماجستير، كلية التربية - جامعة عين شمس، ١٩٦٩م.
- ١٩- الراسي "جورج"، الإسلام الجزائري من الأمير عبد القادر إلى أمراء الجماعات، دار الجديد - بيروت، ١٩٩٧م.
- ٢٠- الزركلي "خير الدين"، الأعلام، دار العلم للملايين - بيروت، ط٩، ١٩٩٠م.
- ٢١- الزين "سميح عاطف"، الصوفية في نظر الإسلام، دار الكتاب اللبناني - بيروت، دار الكتاب المصري القاهرة، ط٣، ١٩٨٥م.
- ٢٢- سعد الله "د- أبو القاسم"، الحركة الوطنية الجزائرية "١٩٣٠-١٩٤٥م"، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ٢٠٠٥م.
- ٢٣- أجزاء، ط٤، ١٩٩٢م.
- ٢٤- سعد الله "د- أبو القاسم"، تاريخ الجزائر الثقافي "١٨٣٠-١٩٥٤م"، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.
- ٢٥- سلمان "نور"، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين - بيروت، "د-ت".
- ٢٥- صحيح الأحاديث القدسية وشرحها، تحقيق: محمود بن الجميل، مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الصفا - القاهرة، ٢٠٠١م.
- ٢٦- الطوسي "نصر الدين"، اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة - مصر، ١٩٦٠م.
- ٢٧- عبد الرحمن "طالب"، الكتابات القرآنية من ١٩٥٥-١٩٧٧م، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، ١٩٨٣م.
- ٢٨- عبد الرحمن "الأستاذ حسن"، عبد الحميد ابن باديس مفسراً، رسالة ماجستير - جامعة عين شمس، ١٩٧٩م.
- ٢٩- عمارة "د- محمد"، مسلمون ثوار، دار الشروق - القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
- ٣٠- فضلاء "محمد الطاهر"، مقالات ومحاضرات عبد الحميد بن باديس، الجزائر، ١٩٦٨م.
- ٣١- قاسم "د- محمود"، الإمام ابن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، دار المعارف - مصر، "د-ت".
- ٣٢- الكلاباذي "أبو بكر محمد"، التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق: محمود أمين النواوي، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، ط٢، ١٩٨٠م.
- ٣٣- المدني "أحمد توفيق"، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر، ١٩٨٤م.
- ٣٤- مسلم "الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج"، الصحيح، اعتني به: محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا - القاهرة، ٢٠٠٤م.
- ٣٥- الملي "مبارك"، رسالة الشرك ومظاهره، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط٥، ٢٠٠٠م.
- ٣٦- الملي "محمد"، ابن باديس وعروبة الجزائر، دار الثقافة - بيروت، ١٩٧٣م.
- ٣٧- نويهض "عادل"، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية - بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.
- ثالثاً: الدوريات والمجلات:-**
- ١- مجلة "الحضارة الإسلامية"، العدد ٢، أبريل ١٩٩٦م.
- ٢- مجلة "مجمع اللغة العربية" القاهرة، العدد ٢١، السنة ١٩٦٦م.